A
956.9405
D111i

الإتحاد السوفييتي وقضية فلسطين

الدكتور صلاح دباغ

منظمة التحرير الفلسطينية — مركز الأبحاث
بيروت

حزيران (يونيو) ١٩٦٨

محتويات الكتاب

	صفحة
تمهيد	٧
مقدمة	٩
الفصل الاول : المبادىء الاساسية لسياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية	١٣
النبذة الاولى : التعايش السلمي	١٣
النبذة الثانية : محاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني	١٨
النبذة الثالثة : انعكاس التعايش السلمي ومحاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني على موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية	٢١
الفصل الثاني : الماركسية والمسالة اليهودية	٣٥
النبذة الاولى : العقيدة الماركسية والمسالة اليهودية	٣٦

النبذة الثانية : الاجراءات العملية تجاه المسألة اليهودية ٤٢

الفصل الثالث : اليهود في الاتحاد السوفييتي ٤٩

النبذة الاولى : عدد اليهود في الاتحاد السوفييتي ٤٩

النبذة الثانية : اثر اليهود في موقف الاتحاد السوفييتي ٥٦

النبذة الثالثة : هجرة اليهود الى اسرائيل ٦١

النبذة الرابعة : الصهيونية العالمية ووضع اليهود في الاتحاد السوفييتي ٦٢

الفصل الرابع : حقوق عرب فلسطين المشروعة ٦٧

النبذة الاولى : مظاهر الموقف ٦٧

النبذة الثانية : معنى حقوق عرب فلسطين المشروعة ٧١

خاتمة : من الدولة ـ الاداة الى الوجود ـ الاستعمار ٧٥

تمهيد

يولي مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية عناية خاصة بوضع القضية الفلسطينية على خارطة العلاقات السياسية الدولية المعاصرة ، وذلك اسهاما في الكشف عن الدور الذي تلعبه الدول او الكتل المختلفة في تقرير مصير القضية ، من جهة ، والدور الذي تلعبه القضية في توجيه السياسات الخارجية للدول او الكتل المختلفة . وسبق للمركز ان اصدر ، في السنوات الثلاث الماضية ، عدة دراسات تلقي اضواء على هذا الوجه الدولي للقضية الفلسطينية . منها الحلقتان ١١ و ٢٣ من سلسلة دراسات فلسطينية ، وكلتاهما بالعربية ، الاولى عن تغلغل « اسرائيل » في آسيه وموقف الهند من القضية بشكل خاص، والثانية عن تغلغل «اسرائيل» في اوروبه الغربية ، ومنها الحلقة ١٣ من السلسلة نفسها ، عن الدبلوماسية الصهيونية (بالعربية ، وتجري ترجمتها حاليا الى الانجليزية والفرنسية) . ومنها عدة حلقات من سلسلة حقائق وارقام: الحلقتان الرابعة والخامسة عن اسرائيل في الميدان الدولي وعن القضية الفلسطينية في ٣٣ مؤتمرا دوليا ، بالعربية ، والحلقة السادسة عن المساعدات المالية والعسكرية من الولايات المتحدة والمانيه الغربية لاسرائيل (بالعربية والانجليزية والالمانية) ، والحلقة الحادية عشرة عن التمثيل الدبلوماسي بين الدول العربية و « اسرائيل » وبين

دول العالم المختلفة ، بالعربية .

ومن الواضح ان اي تحليل لموقف الدول والكتل السياسية من القضية الفلسطينية يظل ناقصا اذا لم يسلط جانب منه على موقف الاتحاد السوفييتي من القضية المذكورة بشكل خاص، وخاصة لدرس ما يؤثر في سياسته الخارجية من عوامل معينة : من مبادىء اساسية ومن عقيدة ماركسية ومن وجود عدد كبير من اليهود في البلاد ، وهي كلها عوامل تعكس نفسها في موقف الاتحاد السوفييتي من الدول العربية ومن الكيان المغتصب في فلسطين .

وان هدف مركز الابحاث من هذه الدراسة انما هو وضع عدد من الحقائق الاساسية ، التي يمكن بواسطتها تحليل علاقة الاتحاد السوفييتي بالقضية الفلسطينية ودرسها دراسة علمية امينة ، امام مخططي السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ، الفلسطينيين وغير الفلسطينيين من العرب ، لعلها تفيد في فهم بعض المواقف الاجنبية الرسمية، وتسهم، اكثر من ذلك ، في تحديد علاقاتنا مع الدول الاخرى وفي دعم مطالبنا بالحجة المقنعة القائمة على التفهم الصحيح للظروف والاوضاع .

انيس صايغ

المدير العام لمركز الابحاث

مقدمة

ان موضوع دراسة موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية موضوع شائك . فالقضية الفلسطينية هي ، بلا ريب، قضية العرب الاولى ، ولمواقف الدول، لا سيما الكبرى منها، ازاء هذه القضية تأثير كبير على نفسية الجماهير العربية، ذلك ان هذه الجماهير تتأثر مواقفها من الدول العظمى وحتى ما تمثله من عقائد وانظمة ومؤسسات بمواقف هذه الدول من القضية الفلسطينية . فاذا عكست مواقف هذه الدول تفهما وتعاطفا وتأيدا ومساندة ، تجاوبت الجماهير العربية مع هذه المواقف ومالت الى الدولة التي تتبناها ، بل ورأت ايضا في الفكرة التي تتبناها هذه الدولة او تلك فكرة عادلة ومحقة، ذلك ان الجماهير العربية تؤمن ، وبحق ، ان قضية فلسطين هي قضية حقوق انتهكت وعدالة امتهنت .

وكان من نتائج هذا الواقع ان دخلت قضية فلسطين في صميم الحرب الدعاوية والاعلامية وحتى النفسية التي تشهدها المنطقة العربية . فالمعسكران الرئيسيان في العالم ، بل قل المعسكرات الرئيسية الثلاثة، وهي المعسكر الغربي الذي تمسك بزمامه الولايات المتحدة والمعسكر الاشتراكي الذي يتزعمه الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاستراكي الآخر الذي بدأ يشق طريقه بين هذين المعسكرين والذي تتزعمه جمهورية الصين الشعبية ، هي في صراع سياسي عنيف ، ويهمها ان تبدو

وتظهر انها اقرب الى فهم القضية الفلسطينية والتعاطف معها اكثر من غيرها . فحتى الولايات المتحدة الاميركية ، وموقفها من القضية الفلسطينية قد اصبح واضحا وبيّنا ومعروفا ، كان يهمها مثلا ان تسهم في اقامة مؤسسة تبدو وكأنها مستقلة ، هي مؤسسة الاصدقاء الاميركيين للشرق الاوسط ، تبدي تفهما وعطفا على القضية الفلسطينية . وقد اتضح فيما بعد ان هذه المؤسسة ليست مستقلة بل تستمد قسما كبيرا من مواردها المالية من وكالة المخابرات المركزية . وكذلك ظهر العديد من الكتب والدراسات المنشورات حول مواقف الدول الكبرى من القضية الفلسطينية التي لا تستهدف البحث المجرّد ، بل ترمي الى الدفاع عن موقف دولة او التشهير بموقف دولة اخرى .

من هنا نشأت الضرورة الى دراسة مواقف الدول ، لا سيما الكبرى منها ، من القضية الفلسطينية دراسة علمية موضوعية مجرّدة . ودراستنا هذه هي محاولة اولية موجزة لعرض بعض الحقائق التي تحيط بموقف الاتحاد السوفييتي وشرحها وفهمها . وليست معرفة هذه الحقائق بوجود التيارات الاعلامية المتصارعة بالامر اليسير دوما . ولقد اعتمدت قدر الامكان على المصادر الاولية وعلى ما اتاحته خبرتي العملية كأحد المسؤولين عن السياسة الخارجية في منظمة التحرير الفلسطينية ردحا من الزمن من الاطلاع على بعض الوقائع ولمس بعض من جوانبها عن كثب . ولا بد لنا من الاشارة منذ البداية الى ان هذه الدراسة هي دراسة موضوعية بحتة لا يقصد بها الدفاع عن احد او التشهير بأحد او التبشير بفكرة او الطعن بمبدأ . فليس لنا من غرض سوى عرض الحقائق بجميع ابعادها .

وما احوجنا اليوم الى معرفة حقيقة مواقف الدول الكبرى

من قضية فلسطين بجميع ابعادها وملابساتها . فمن ناحية اولى ، اصبحت القضية الفلسطينية كمعظم المشاكل الدولية في عالم اليوم ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاوضاع العالمية ومتصلة بها . وهذا العامل الدولي للقضية ، وان لم يكن العامل الاهم ، مهم بدون شك . ومعرفة مواقف الدول الكبرى او بعض منها من قضية فلسطين ييسر ويسهل عملية فهم هذا البعد الدولي . ومن ناحية ثانية ، فان الحقائق الموضوعية المجردة هي الاساس الذي ترتكز عليه الآراء السليمة وتتخذ على ضوئه المواقف السليمة البعيدة عن خطر الانزلاق في متاهات الهوى والاغراض الشخصية .

★★★

تحدد سياسة الاتحاد السوفييتي ازاء قضية فلسطين مجموعتان من العوامل . المجموعة الاولى تتألف من المبادىء العامة التي تحدد سياسة الاتحاد السوفييتي بصورة عامة تجاه القضايا الدولية كالتعايش السلمي ودعم حركات التحرر الوطني ومحاربة الاستعمار بجميع اشكاله . ومجموعة العوامل الثانية تتعلق بالقضية الفلسطينية بصورة خاصة كموقف العقيدة الماركسية اللينينية من الصهيونية وعدد اليهود ومقدار قوتهم ومدى نفوذهم في الاتحاد السوفييتي . وعلى هذا الاساس سنقسم هذه الدراسة الى اربعة فصول ، فصل اول نبحث فيه العوامل العامة التي تؤثر في سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه القضية الفلسطينية ، وفصل ثان نتناول فيه موقف الماركسية من الصهيونية ، وفصل ثالث نبيّن فيه عدد اليهود ونفوذهم في الاتحاد السوفييتي ثم نخلص الى فصل رابع نحلل فيه محصلة هذه العوامل كلها : وهو موقف الاتحاد السوفييتي من المسألة الفلسطينية .

الفصل الاول

المبادىء الاساسية لسياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية

ترتكز السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي على مبادىء اساسية مستوحاة ومستمدة من العقيدة الماركسية ومتأثرة بمصالح الدولة السوفييتية . وتحدد هذه المبادىء بصورة عامة موقف الاتحاد السوفييتي من الاحداث العالمية والقضايا الدولية ومنها قضية فلسطين . ومن هذه المبادىء التي لها اتصال مباشر بالقضية الفلسطينية التعايش السلمي ، ودعم حركات التحرر الوطني ومناوئة الاستعمار بجميع صوره واشكاله .

النبذة الاولى : التعايش السلمي

يؤمن الاتحاد السوفييتي بمبدأ التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة . وبالتالي فهو يؤمن بعدم مجابهة المعسكر الراسمالي مجابهة تصل الى حد الصدام المسلح . وقد اكد ليونيد بريجنيف الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي مجددا هذا المبدأ في الذكرى الخمسين للثورة الشيوعية حين قال :

ان الاتحاد السوفييتي « يقف بثبات ضد اللجوء الى القوة العسكرية من اجل تسوية مسائل العلاقات بين النظامين

الاجتماعيين .. سيواصل الاتحاد السوفييتي مع حلفائه النضال دون كلل في سبيل سلم وطيد في اوروبه وضد كل ما يهدد امن الشعوب الاوروبية . وسيواصل المناداة بتعاون متبادل النفع بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية والمختلفة على اساس المبادىء المعروفة للتعايش السلمي (١) » .

تقوم سياسة التعايش السلمي وعدم المجابهة على ثلاثة عوامل هي الخوف من نتائج الحرب الحديثة التي قد تنجم بين المعسكرين والعناية بتوفير مزيد من الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية واعتقاد الزعماء السوفييت بان النظام الاشتراكي سيكون الرابح النهائي في العالم دون حاجة الى اللجوء الى الحرب .

فالحرب اذا نشأت سيكون لها عواقب وخيمة على كل من المعسكرين المتحاربين بسبب انتشار الاسلحة الرهيبة الحديثة ، لا سيما النووية منها . ولن يكون ثمة رابح للحرب بل ان الجميع سيخسرون ، وان خشية الحرب النووية ، التي اذا ما نشبت ستعصف بالبشرية جمعاء ، من الاسباب الرئيسية التي حدت بالاتحاد السوفييتي لتبني سياسة التعايش السلمي .

ولقد عبّر رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي ، الكسي كوسيفين ، في خطابه الذي القاه في الدورة الاستثنائية الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة بتاريخ ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ عن هذا الرأي كما يلي :

« لا يريد اي شعب الحرب . ولا يشك احد الان في ان

١ — **تقرير ليونيد بريجنيف بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى** (وكالة انباء نوفوستي ، ١٩٦٧) ، ص ٦٦ .

حربا عالمية جديدة اذا ما نشبت سوف تكون حتما حربا نووية وسوف تكون عواقبها مشؤومة بالنسبة للعديد من بلدان وشعوب العالم . ولقد حذّر رجال الدولة البعيدو النظر في مختلف البلدان وكبار المفكرين والعلماء من ذلك منذ اليوم الاول لظهور السلاح النووي . لقد خلق العصر الذري واقعا جديدا في قضايا الحرب والسلم والقى على كاهل الدول مسؤولية اكبر بما لا يقاس فيما يتعلق بهذه المسائل ولا يمكن ان يجادل في هذا اي شخصية سياسية او قائد عسكري اذا لم يفقد المقدرة على التفكير بصورة صحيحة ، خصوصا وان القادة العسكريين يصورون عواقب الحرب النووية احسن مما يصورها اي شخص آخر (٢) » .

والعامل الثاني الذي يدفع حكومة الاتحاد السوفييتي لانتهاج سياسة التعايش السلمي يكمن في رغبتها في رفع مستوى الحياة الاقتصادية للمواطنين السوفييت . فالمواطنون في الاتحاد السوفييتي قد تحملوا طيلة الخمسين السنة الماضية اعباء وتضحيات كبيرة ، منها الدفاع المسلح عن الثورة ضد اعدائها في الداخل والخارج عند انطلاقها ، ومنها اعباء التنمية الاقتصادية السريعة والواسعة . ومن الواضح ان التنمية الاقتصادية ، لا سيما اذا تمت بمدة زمنية وجيزة نسبيا تتطلب توجيه الاستثمارات نحو الانتاج من اجل زيادته في المستقبل بدلا من التمتع به في الحاضر . فهي ، في اساسها تضحية تقوم بها الاجيال في فترة زمنية معينة من اجل رفاه وتقدم الاجيال في المستقبل . ومن الاعباء التي تحملها شعب

٢ — **خطاب أ.ن. كوسيفين في الدورة الاستثنائية الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧** (وكالة انباء نوفوستي ، ١٩٦٧) ، ص ٦ .

الاتحاد السوفييتي الحرب العالمية الثانية التي ادت الى احتلال قسم كبير من الاراضي السوفييتية وتدمير مصانعها ومنشآتها وتشريد اهليها .

ومن الطبيعي اذن ان ينزع الشعب السوفييتي بعد هذه التضحيات المتواصلة الى التطلع نحو شيء من الرفاه . ومن الطبيعي ان تستجب الحكومة السوفييتية الى هذه الرغبة فتسعى لزيادة انتاج البضائع الاستهلاكية وتعنى بتوفير المساكن اللائقة للجميع وتعمل على رفع الاجور وتخفيض ساعات العمل الاسبوعية .

ومن الاجراءات الاخيرة التي اتخذتها حكومة الاتحاد السوفييتي في هذا المجال :

١ ـ رفع المعاشات التقاعدية للعمال والمستخدمين .
٢ ـ خفض اسعار بعض بضائع الاستهلاك الواسع .
٣ ـ تحسين تموين السكان بالمنتجات الغذائية والسلع الصناعية ، ولقد ازدادت تجارة المفرق ـ اي كمية البضاعة المباعة للسكان ـ في العامين الاخيرين حوالي عشرين بالمئة .
٤ ـ تطبيق اسبوع العمل المؤلف من خمسة ايام .
٥ ـ بناء المدارس والمساكن والمستشفيات على نطاق واسع (٣) .

ولا يخفى ان هذا الاتجاه الى تحقيق الرفاه الداخلي يحوّل كثيرا من الموارد الاقتصادية الى تحسين مستوى الشعب بدلا

---

٣ ـ ف. غاربوزوف ، **الدخل الوطني وميزانية الدولة في الاتحاد السوفييتي** (منشورات وكالة انباء نوفوستي) . الصفحتان ٦٥ و ٦٦ .

عن المجهود الحربي وزيادة الانتاج .

اما العامل الثالث الذي يدفع الاتحاد السوفييتي نحو التعايش السلمي فهو ما يؤمن ويشعر به من ان الاتحاد السوفييتي ونهجه الاشتراكي في الحياة سيكون الرابح النهائي وسيكسب الجولة في العالم دون حاجة الى اللجوء الى الصدام المسلح مع المعسكر الرأسمالي . ويعبّر الزعماء السوفييت عن هذا المبدأ كما يلي :

« ان سياستنا الخارجية هي سياسة اشتراكية ثورية تماما ، لكن الماركسيين ـ اللينينيين يدركون دائما ان الاشتراكية لا تصدّر من بلد الى آخر بواسطة القوة المسلحة ، بل هي نتيجة تطور داخلي لكل مجتمع . وهم يؤمنون ايمانا راسخا بعدالة قضيتهم وبتفوق النظام الاشتراكي ، وهم على اقتناع بان انتصارهم لا يستلزم ابدا الحروب بين الدول (٤) » .

فالعقيدة الماركسية تؤمن ايمانا راسخا بانهيار النظام الرأسمالي . والانهيار هو النتيجة المحتومة لهذا النظام وهي ستأتي عاجلا ام آجلا . وتبعا لذلك ، ليس ثمة من مبرر لخوض معركة نووية تعود بالدمار على الجميع . فانتصار الاشتراكية ، بنظر الماركسيين ، امر لا بد منه .

ويشير زعماء الاشتراكية على انتصارات الاشتراكية في مواقع جديدة ـ في الصين وفي كوبه وفي فيتنام وفي الوطن العربي . ففي هذا يقول ليونيد بريجنيف :

« لكن الواقع قد احبط حسابات واشنطن وعواصم العالم الرأسمالي الاخرى . فمواقع الاشتراكية وحلفائها تتوطد باستمرار وتستفحل عزلة القوى العدوانية للامبريالية كما ان

---

٤ ـ ليونيد بريجنيف ، المرجع السابق ، الصفحتان ٦٥ و ٦٦ .

كتلتها المتزعزعة قد بدأت تنهار. وتبدي الشعوب وحتى بعض حكومات البلدان البورجوازية اكثر فاكثر ميلا نحو التحرر من الالتزامات التي فرضت عليها والابتعاد عن السياسة المغامرة الخطرة لمديري وموجهي الكتل الامبريالية . ولا شك في ان السياسة السلمية الدائبة للدولة السوفييتية قد كان لها دورها في ذلك (٥) » .

النبذة الثانية : محاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني

من المبادىء الثابتة لسياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية **محاربة الامبريالية والاستعمار** بوجهيه القديم والجديد . وان مناهضة ومقاومة الحركة الماركسية للاستعمار امر واضح لا يحتاج الى كثير شرح . فالاستعمار محاولة لتوسيع النظام الرأسمالي خارج حدود الدولة التي ينمو فيها من اجل ايجاد الاسواق التجارية للمنتجات الصناعية وهو بالتالي يشكل اعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية (٦) .

---

٥ – ليونيد بريجنيف ، المرجع ذاته ، ص ٦٧ .

٦ – يقول لينين في وصف الصلة الناشئة بين الاستعمار والرأسمالية :

« لقد نشأ الاستعمار باعتباره تطورا واستمرارا مباشرا لما فطرت عليه الرأسمالية بوجه عام من خصائص اساسية. ولكن الرأسمالية لم تصبح استعمارا رأسماليا الا عندما بلغت في تطورها درجة معينة عالية جدا ... عندما تكونت وظهرت في جميع الاتجاهات سمات مرحلة انتقالية من الرأسمالية الى نظام اجتماعي اقتصادي اعلى . والامر الاساسي في هذا السير هو من الناحية الاقتصادية حلول الاحتكارات الرأسمالية محل المزاحمة

(التتمة على الصفحة التالية)

ومناهضة الاستعمار ومقاومته تستتبع دعم وتأييد حركات التحرر الوطني في البلاد المستعمرة لطرد المستعمرين وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي للشعوب المضطهدة . فلدى هذه الشعوب توجد طاقات ثورية تتبلور في حركات التحرير الوطنية . ويمكن استعمال هذه الطاقات بغية القضاء على العدو المشترك لهذه الشعوب وللحركة الشيوعية ــ وهو الامبريالية . وتبعا لذلك من الضروري ان تؤازر الطبقة العاملة وحكومة الاتحاد السوفييتي التي تمثل تلك الطبقة حركات التحرر الوطني للشعوب المضطهدة وغير المستقلة مؤازرة فاعلة وناشطة (٧) .

وفي شرحه للمبادىء التي تقوم عليها السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي ، بمناسبة الذكرى الخمسين للثورة الشيوعية ، يؤكد الامين العام للحزب الشيوعي السوفييتي بصورة واضحة وجازمة تأييد حكومته ودعمها **دعما فعالا وجازما لحركات التحرر الوطني** ، فهو يقول :

« من الخصائص الرئيسية للاعوام الخمسين التي عقبت ثورة اكتوبر اندماج حركة التحرر الوطني والنضال الذي تخوضه الطبقة العاملة في تيار ثوري واحد . ان مليار ونصف المليار من الناس الذين يقطنون المستعمرات واشباه المستعمرات

الحرة الرأسمالية ... ولئن كانت هنالك ضرورة لتعريف الاستعمار تعريفا غاية في الايجاز ، ينبغي ان يقال : الاستعمار هو الرأسمالية في مرحلة الاحتكار » .

فلاديمير لينين ، **الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية** (موسكو : دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية) ، الصفحتان ١١٨ و ١١٩ .

٧ – انظر Joseph Stalin, **Marxism and the National and Colonial Problem** (Moscow: Cooperative Publishing Society of Foreign Workers, 1935), p. 193.

السابقة قد احرزوا استقلالهم ودخلوا في الحياة السياسية النشيطة وقد وسّع ذلك اطارات الحركة الثورية العالمية وعجّل التقدم الاجتماعي (٨) » .

« ان التحالف مع حركة التحرر الوطني ومع المكافحين ضد الامبريالية في العالم بأسره هو من المصادر الرئيسية لقوتنا على الصعيد الدولي . وبالسير جنبا الى جنب وبمساعدة بعضنا البعض نستطيع بسهولة اكثر البحث عن حل لمسائل دولية عديدة وخاصة مسألة توطيد السلم (٩) » .

« نحن نساعد وسنواصل مساعدة اولئك الذين يناضلون ضد التدخل الامبريالي في شؤون الشعوب وضحايا العدوان الامبريالي . ووفقا للظروف فان هذه المساعدة يمكن ان ترتدي الاشكال الاكثر تنوعا من سياسية ودبلوماسية واقتصادية او عسكرية ، لكن محتواها يظل هو نفسه دائما : الرد على المعتدين والدفاع عن حقوق الشعوب في تطور مستقل وحماية السلم وامن الشعوب ، وبذلك بالذات الدفاع عن مصالح الاشتراكية (١٠) » .

وهكذا نرى ان حركة التحرر الوطني والحركة الشيوعية تجتمعان حول هدف واحد هو مناهضة الاستعمار ومقاومته. وطالما الوضع هو كذلك، فان الاتحاد السوفييتي يمد يد العون والمساعدة والمناصرة لحركات التحرر الوطني في العالم اجمع.

حللنا في النبذتين السابقتين مبدئين هامين من المبادىء التي تستند اليهما السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي

٨ — ليونيد بريجنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .
٩ — المرجع ذاته ، ص ٦١ .
١٠— المرجع ذاته ، ص ٦٤ .

وهما مبدأ التعايش السلمي من ناحية ، ومبدأ محاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني من ناحية اخرى . لندرس الآن انعكاس هذين المبدئين على موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية .

النبذة الثالثة : انعكاس التعايش السلمي ومحاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني على موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية

من مبدئي التعايش السلمي ومحاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني تنبثق عدة مواقف للاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية . فمن المبدأ الاول تنبثق سلسلة من المواقف السلبية في جوهرها لعل اهمها الاعتراف بالدولة الاسرائيلية وعدم التورط في حرب الى جانب العرب عند نشوبها ، بينما تنبثق من المبدأ الثاني سلسلة من المواقف الايجابية اهمها دعم الدول العربية في مجابهتها لاسرائيل دعما دبلوماسيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا وابقاء التعامل مع اسرائيل في حدود ضيقة . ولنبدأ بالسلسلة الاولى من المواقف .

أ — انعكاس التعايش السلمي على موقف الاتحاد السوفييتي من قضية فلسطين

١ — الاعتراف بالدولة الاسرائيلية

ان الاتحاد السوفييتي قد اعترف ولا يزال يعترف بوجود الدولة الاسرائيلية . ولقد اوضح هذا الموقف رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي السيد الكسي كوسيغين في خطابه الذي القاه بتاريخ ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ امام الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الاستثنائية التي انعقدت

خصيصا لبحث العدوان الاسرائيلي على الدول العربية . فمع ان رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي قد نـدد بحزم وبشدة بالعدوان الاسرائيلي وطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية انسحابا فوريا ودون قيد ولا شرط وبالتعويض عن كل الخسائر التي سببها العدوان ، الا انه بيّن ان سبب ذلك يعود الى السياسة العدوانية التي تنتهجها الاوساط الحاكمة وليس الى الوجود الاسرائيلي بالذات .

« ولا يقف الاتحاد السوفييتي ضد السياسة العدوانية التي تنتهجها الاوساط الحاكمة لهذه الدولة . وان الاتحاد السوفييتي طيلة كل الاعوام الخمسين من تاريخه يكن الاحترام لكل الشعوب صغيرها وكبيرها . ولكل شعب الحق في تأسيس دولته الوطنية المستقلة وهذا هو من المبادىء الاساسية لسياسة الاتحاد السوفييتي . ولقد حددنا من هذا بالذات موقفنا من اسرائيل كدولة وصوتنا في عام ١٩٤٧ الى جانب قرار هيئة الامم المتحدة بقيام دولتين مستقلتين يهودية وعربية في اراضي فلسطين التي كانت مستعمرة بريطانية . واقام الاتحاد السوفييتي بعد ذلك علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل اهتداء منه بذلك الموقف المبدئي (١١) » .

الاتحاد السوفييتي اذن يعترف بالدولة الاسرائيلية ويتعامل معها دبلوماسيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا بالرغم من كون الدولة الاسرائيلية تشكل وبحق برأي السوفييت « المعقل الامامي للامبريالية في الشرقين الادنى والاوسط ، وهراوة الرجعية الامبريالية ، والدعامة الرئيسية للاستعمار الذي ذهب والذي لا يزال يحاول شن هجوم هنا وهناك (١٢) »،

١١ ــ المرجع السابق ، ص ١٣ .

١٢ ــ K. Ivanov and Z. Sheinis, The State of Israel, Its Position and Politics (Moscow: 1959), p. 142.

وبالرغم من كون اسرائيل « التي تقودها الصهيونية قد اتجهت الى جانب اسوأ اعداء حرية الشعوب في الشرق ، وليس في الشرق وحده ، اي الى جانب الامبرياليين (١٣) » ، وبالرغم من « ان الدوائر الحاكمة لا تستطيع ان تتصور مستقبل اسرائيل الا في خدمة الدول الاستعمارية الامبريالية الكبرى (١٤) » .

بالرغم من كل هذه الاعتبارات ، يعترف الاتحاد السوفييتي بالدولة الاسرائيلية ، بيد ان الاتحاد السوفييتي يعترف بالدول الاستعمارية والامبريالية نفسها ويتعامل معها سياسيا واقتصاديا وثقافيا . وطالما ان الاتحاد السوفييتي يتعايش سلميا مع الدول الاستعمارية ذاتها ، يصبح من المعقول ، حسب منطقه ، ان يتعايش ويتعامل مع الدول التي تشكل اداة في يد الدول الاستعمارية وفي طليعتها اسرائيل.

وبوحي من هذا الموقف ، عارض وفد الاتحاد السوفييتي في مؤتمر تضامن شعوب افريقيه وآسيه واميركه اللاتينية المنعقد في هافانه في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٦٦ في اتخاذ قرار ينص صراحة على الطلب من جميع الدول التقدمية في العالم سحب اعترافها باسرائيل ومقاطعتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، هذا مع العلم بان الوفد ذاته قد ايد جميع القرارات التي ادانت الحركة الصهيونية ، وشجبت جميع اعمال اسرائيل العدوانية وسياستها القائمة على التوسع وعلى مساندة الاستعمار ومحاربة حركات التحرر والاستقلال .

٢ ــ عدم التورط في حرب في الشرق الاوسط

لعله اصبح واضحا الآن ان الولايات المتحدة الاميركية ، في الظروف الدولية الراهنة ، ستتدخل بصورة رسمية اذا

١٣ و ١٤ ــ المرجع ذاته ، الصفحتان ١٣٠ و ١٣٢ .

حاول العرب شن هجوم نظامي مسلح على اسرائيل . وفي مثل هذه الحال من الخطأ الاعتقاد ان الاتحاد السوفييتي سيتدخل لصالح العرب. فالاتحاد السوفييتي، تبعا لسياسة التعايش السلمي التي ينتهجها ، يتحاشى الصدام المسلح مع الولايات المتحدة . والدلائل على هذا الامر عديدة لعل اهمها عدم تدخل الاتحاد السوفييتي عسكريا في حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ عندما بدأت اسرائيل بالعدوان على البلاد العربية واحتلت بقوة السلاح اجزاء واسعة من اراضي البلاد العربية المجاورة . ومن الدلائل الحية على موقف الاتحاد السوفييتي هذا تحاشي الاتحاد السوفييتي مجابهة الولايات المتحدة والصدام معها ابان ازمة كوبه وازمة جمهورية الدومينيكان ، ومنها كذلك الضغط على الجمهورية العربية المتحدة قبيل عدوان الخامس من حزيران بان لا تكون البادئة في شن هجوم على اسرائيل . ومن ابلغ الادلة على ما نذهب اليه ايضا هو الحرب الدائرة رحاها الان في فيتنام حيث تقوم الطائرات الاميركية بالاغارة المستمرة على بلد شيوعي هو شمالي فيتنام دون ان يؤدي ذلك الى تدخل الاتحاد السوفييتي تدخلا عسكريا مباشرا في الحرب الفيتنامية .

٣ ـ عدم الاعتراف رسميا بمنظمات الشعب الفلسطيني

لم يعترف الاتحاد السوفييتي بعكس حكومة جمهورية الصين الشعبية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ورفض بالتالي ان تفتح المنظمة مكتبا لها هناك . ويرفض الاتحاد السوفييتي ايضا تدريب الفلسطينيين تدريبا عسكريا سواء كانوا تابعين لمنظمة التحرير ام لغيرها من المنظمات الفدائية (١٥) . وكذلك

١٥ ـ بيد ان الاتحادالسوفييتي قد اعطى عدة منح دراسية جامعية للفلسطينيين من خلال منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد العام لطلبة فلسطين .

اعتذر المسؤول عن شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية السوفييتية عن مقابلة احد المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية الذي ذهب الى موسكو في مطلع عام ١٩٦٦ بناء على دعوة وجهتها اليه لجنة التضامن السوفييتية مع شعوب آسيه وافريقيه وذلك بسبب احتجاج السفير الاسرائيلي في موسكو على دعوة ممثل منظمة التحرير بعد ان اذاعت النبأ الجرائد السوفييتية .

ولكن يبدو ان من بعض الاسباب التي حملت الاتحاد السوفييتي على عدم الاعتراف بالمنظمة ، والتي يلمسها المرء في محادثاته مع المسؤولين السوفييت او مع من يميلون الى سياسته ، وجهة نظر الاتحاد بأن المنظمة لم تصل ولم تبلغ مستوى المنظمات التحريرية في العالم، كجبهة التحرير في فيتنام الجنوبية ، ولم تباشر عمليات النضال المسلح على نطاق واسع ولم تستقطب حولها الكثرة الساحقة من ابناء الشعب الفلسطيني .

ب ـ انعكاس مبدأ محاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني على موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية

نجم عن مبدأ محاربة الاتحاد السوفييتي للاستعمار ومؤازرته لحركات التحرر الوطني موقف متحفظ جدا ازاء اسرائيل ، كما نجم عنه تأييد واسع للدول العربية تجاه اسرائيل ومؤازرة سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية واسعة المدى وبعيدة الحدود ، وارساء دعائم واسس متينة للصداقة العربية السوفييتية .

١ – الموقف المتحفظ تجاه اسرائيل

بالرغم من اعتراف الاتحاد السوفييتي باسرائيل فهو يقف منها موقفا متحفظا ممزوجا بالريبة . فاسرائيل قد تحالفت مع الاستعمار ، لا بل هي قاعدة من قواعده واداة من ادواته يستفيد منها من اجل حماية مصالحه البترولية والاستراتيجية في منطقة الشرق الادنى كما تحقق له اهدافا عديدة منها :

أ – التصدي للقضاء على حركات التحرر في البلاد العربية .

ب – انشاء حاجز في قلب الارض العربية يعيق تلاحم قوة حركة تحرره الوطنية ووحدته النضالية الموجهة ضد الاستعمار ونحو التقدم الاجتماعي .

ج – اشغال الشعب العربي بهذه الدولة القاعدة التي تواظب على الاعتداء وتخلق تهديدا مستديما يمنع العرب من تحقيق استقلالهم الاقتصادي الذي يتضمن انهاء استغلال البترول العربي .

د – التسلل والتغلغل الى الدول الاسيوية والافريقية لا سيما الحديثة الاستقلال منها تحت ستار المساعدات التي تشكل في حقيقتها شكلا من اشكال الاستعمار الجديد ولونا من الوانه .

ان هذه النظرة الى اسرائيل ، التي تظهر في الوسائل الاعلامية السوفييتية من صحف واذاعة وكتب، لها اثار واضحة في العلاقات الدبلوماسية والسياسية والتجارية والثقافية بين البلدين .

النطاق الدبلوماسي والسياسي

بالرغم من عداء العقيدة الشيوعية والدولة السوفييتية

للحركة الصهيونية (١٦) ، فان الاتحاد السوفييتي ايد مشروع تقسيم فلسطين ومن ثم كان في طليعة الدول التي اعترفت بالدولة الاسرائيلية التي تمثل الحركة الصهيونية وتجسد معانيها ومراميها (١٧) .

ويعزى هذا الموقف الى اسباب عدة منها اعتقاد الاتحاد السوفييتي آنذاك ان التقسيم وما ينطوي عليه من اقامة دولة عربية واخرى يهودية مستقلتين سيؤدي الى اضعاف مركز بريطانيه في الشرق الاوسط ، والى كون الدول العربية آنذاك تسير في فلك السياسة البريطانية ، والى ميل الحركة الوطنية العربية والفلسطينية ابان الحرب الى دول المحور بدلا من الاتحاد السوفييتي ، والى عدم اهتمام الاتحاد السوفييتي اهتماما شديدا بالقضية الفلسطينية في ذلك الظرف (١٨) ، والى الشعور بضرورة ايجاد حل لمسألة اليهود الذين شردتهم السلطات النازية ، والى نفوذ بعض اليهود في الاتحاد السوفييتي .

وقد اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي

---

١٦ – راجع الفصل الثاني .

١٧ – كذلك كان موقف الاتحاد السوفييتي على وجه الاجمال معارضا للعرب ومؤيدا لليهود . انظر مثلا خطاب السيد غروميكو ممثل الاتحاد السوفييتي في جلسة مجلس الامن المعقودة في ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ . **المحاضر الرسمية لمجلس الامن** ، السنة الثالثة ، العدد ٨٥ ، الصفحتان ٢ و ٥ .

١٨ – Walter Z. Laqueur, **The Soviet Union and the Middle East** (London: Routledge and Kegan Paul, 1959), pp. 146 - 147.

واسرائيل على مستوى مفوضية ثم رفعت الى درجة سفارة (١٩) . ومرت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في ثلاث **ازمات هي التالية :**

١ ـ ازمة عام ١٩٥٣ :

في بداية عام ١٩٥٣ ظهرت بوادر حملة على الاتحاد السوفييتي داخل المنطقة المحتلة من اسرائيل وكان من اثارها ان انفجرت قنبلة في البناية التي تقيم فيها المفوضية السوفييتية في تل ابيب، وقد حكم على الارهابيين الذين قاموا بهذا العمل بعقوبات خفيفة مما ادى الى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . ولكن هذه العلاقات اعيدت في صيف السنة ذاتها .

٢ ـ ازمة السويس عام ١٩٥٦ :

اثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على الجمهورية العربية المتحدة ، وقفت حكومة الاتحاد السوفييتي موقفا مشرفا وحازما من العدوان فكان ان سحبت سفيرها في اسرائيل في الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٦ . ولكن السفير السوفييتي السيد ابراموف ما لبث ان عاد الى اسرائيل في منتصف نيسان (ابريل) من عام ١٩٥٧ **بعد ان انسحبت** اسرائيل من قطاع غزة ومن الاراضي المصرية .

٣ ـ العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ :

في اعقاب العدوان الاسرائيلي على الدول العربية في

١٩ ـ وذلك في حزيران (يونيو) ١٩٥٤ .

حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قطع الاتحاد السوفييتي علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل ولا زالت هذه العلاقات مقطوعة حتى الآن (٢٠) .

أن الموقف الدبلوماسي المتحفظ للاتحاد السوفييتي ازاء اسرائيل والذي ادى الى قطع العلاقات الدبلوماسية مرتين بين البلدين والى سحب السفير السوفييتي مرة واحدة ليس سوى انعكاس للموقف السياسي المتحفظ الذي يتخذه الاتحاد السوفييتي تجاه اسرائيل .

ويظهر هذا الموقف السياسي المتحفظ اكثر ما يظهر في الامم المتحدة . فالاتحاد السوفييتي منذ مطلع عام ١٩٥٤ قد واظب على الوقوف الى جانب العرب ضد اسرائيل عند طرح القضية الفلسطينية امام اجهزة الامم المتحدة . ففي مجلس الامن مثلا كان الاتحاد السوفييتي يمتنع ، على وجه الاجمال، عن التصويت على القرارات التي تتخذ بشأن القضية وذلك حتى عام ١٩٥٤ حين ابتدأ **يقف بصورة واضحة الى جانب** الدول العربية. فبينما امتنع الاتحاد السوفييتي عن التصويت على مشروع القرار الذي اصدره مجلس الامن في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٥١ والذي طلب فيه من مصر انهاء القيود

٢٠ ـ تجدر الاشارة الى بعض الازمات الدبلوماسية الصغيرة نسبيا التي تصيب العلاقات السوفييتية الاسرائيلية من وقت لآخر كاعتقال الياهو هازان الملحق في السفارة الاسرائيلية في موسكو مدة ٢٤ ساعة في اودسه بتاريخ ٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٧ ، وكاتهام السكرتير الثاني في السفارة الاسرائيلية في موسكو بالتجسس في آب (اغسطس) ١٩٦٦ وبالتالي اعتباره شخصية غير مرغوب فيها .

المفروضة على مرور السفن التجارية والبضائع في قناة السويس والذي تقدمت به كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسه وايدته كل من البرازيل والاكوادور وهولنده وتركيه ويوغوسلافيه مما ادى الى اقراره ، عارض الاتحاد السوفييتي في الشكوى الاسرائيلية المقدمة الى مجلس الامن بتاريخ ٢٨ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٤ بشأن القيود المفروضة على مرور السفن التي تتاجر مع اسرائيل والمارة بقناة السويس ، وكان موقفه هذا السبب في سقوط مشروع القرار الذي تقدم به وفد نيوزيلانده آنذاك وايدته الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسه والدنمارك والبرازيل وكولمبيه وتركيه . وكانت هذه المرة الثانية التي يستعمل فيها الاتحاد السوفييتي حقه في معارضة مشروع قرار ضد العرب في مجلس الامن ، اما المرة الاولى فكانت في ٢٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٤ .

ومنذ عام ١٩٥٤ ، ومواقف الاتحاد السوفييتي السياسية ، في الامم المتحدة وخارجها ، تنسجم مع المواقف العربية . ولا داعي لتعداد الادلة والشواهد ، فهي اكثر من ان تحصر وتعدد . ولعل اهمها رفض الاتحاد السوفييتي عام ١٩٦٠ اقتراحا تقدم به رئيس وزراء اسرائيل يرمي الى عقد اجتماع بينه وبين السيد خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي آنذاك (٢١) . وكذلك رفض المسؤولون في الاتحاد السوفييتي مقابلة رئيس الوزراء الاسرائيلي قبل العدوان الاخير في حزيران (يونيو) الماضي .

النطاق الاقتصادي والتجاري

يدل الجدول الذي يورد صادرات اسرائيل الى الاتحاد

٢١ — Israel Government Yearbook 1960 - 61 (Jerusalem: The Government Printer, 1961), p. 218.

السوفييتي ووارداته منه على النطاق الضيق جدا الذي يتم فيه التبادل التجاري بين كل من البلدين . فهذه الصادرات والواردات تكاد تقارب تلك القائمة بين اسرائيل وبين بلد صغير من حيث سكانه وضعيف من حيث قوته الشرائية وهو مالطه . ويبدو ضعف حجم التبادل هذا اذا ما قورن وقيس بحجم التبادل التجاري مع الولايات المتحدة الاميركية الذي بلغ في الاعوام ١٩٦٢–١٩٦٤ على التوالي بآلاف الدولارات كما يلي (٢٢):

الصادرات الاسرائيلية

٤٢٫٣١٥ ٤٦٫٣٦٤ ٥٤٫٦٦٤

الواردات الاسرائيلية

٢١٢٫٣٢٦ ١٨٥٫٢٢٧ ٢٠٢٫١٢٠

التبادل التجاري بين الاتحاد السوفييتي واسرائيل ١٩٦٢ – ١٩٦٤

	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
الصادرات الاسرائيلية	٣٣٧	٦٠٩	٥٠٥
الواردات الاسرائيلية	١٦٣	٧	٧٧

المصدر Statistical Abstract of Israel — 1965 (Jerusalem: Central Bureau of Statistics), pp. 258 - 259.

ويجدر بنا هنا ان نشير الى اتفاقيتين اقتصاديتين هامتين عقدتا بين الاتحاد السوفييتي واسرائيل . اما الاولى فهي تلك التي عقدت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٤ والتي

٢٢ — Statistical Abstract of Israel — 1965 (Jerusalem: Central Bureau of Statistics), pp. 258 - 259.

وافق الاتحاد السوفييتي بموجبها على ان يصدر الوقود الى اسرائيل بكميات وافرة . ولكن هذه الاتفاقية ، التي تجددت فيما بعد ، الغيت عام ١٩٥٦ بعد العدوان الاسرائيلي على الاراضي المصرية وقطاع غزة . ولقد طلبت اسرائيل نتيجة هذا الالغاء ان يعرض الامر على مجلس التحكيم التابع لوزارة التجارة السوفييتية بغية التعويض عن الخسائر التي اصابت المؤسسات الاسرائيلية . فأصدر هذا المجلس قراره بتاريخ ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٥٨ الذي قضى برد الطلبات الاسرائيلية برمّتها (٢٣) .

اما الاتفاقية الثانية فهي الاتفاقية الموقعة في القدس المحتلة في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤ والتي ستدفع اسرائيل بموجبها مبلغ اربعة ملايين ونصف المليون دولار للاتحاد السوفييتي وهي قيمة الاملاك الروسية في المناطق المحتلة لا سيما في القدس وحيفا والناصرة وكفر قانا على ان يسدد ثلثا قيمة الاملاك هذه بالحمضيات .

النطاق الثقافي

تبعا للعلاقات السياسية القائمة بين الاتحاد السوفييتي واسرائيل ، نشأت بين البلدين علاقات ثقافية الا ان نطاقها هو نطاق ضيق ، وتقتصر على الاشتراك بالمعارض والمهرجانات والمؤتمرات وتبادل زيارات الفرق الفنية والرياضية وما اشبه.

ففي عام ١٩٦٦ ، مثلا ، حضر الكاتب السوفييتي سيمونوف الى اسرائيل كما قدم عازف الكمان السوفييتي اويستراخ ، الى جانب فريق لكرة القدم وفريق فني شعبي.

---

٢٣ — Israel Govermnet Yearbook 1958 (Jerusalem: Government Printing Press, 1958), p.263.

ومن الناحية الاسرائيلية اقامت المغنية الاسرائيلية جفلا جيل عدة حفلات في الاتحاد السوفييتي ، واقامت الحكومة الاسرائيلية معرضا للمعدات الزراعية في موسكو ومعرضا للدواجن في كييف (٢٤) .

٢ ـ المساعدات السوفييتية للدول العربية

نجم عن مبدأ محاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني ان قدم الاتحاد السوفييتي مساعدات اقتصادية وعسكرية وثقافية كبيرة للدول العربية ، لا سيما الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والجمهورية العراقية .

وليس من شأننا في هذا البحث ان نتعرض لهذه المساعدات بالتحليل والتفصيل . تكفي الاشارة هنا الى ان سلاح اقوى ثلاثة جيوش عربية ، وهي الجيش المصري والسوري والعراقي ، هو سلاح سوفييتي حديث ، والى ان هذا السلاح قد استتبع تدريب واعداد العسكريين العرب على يد خبراء عسكريين سوفييت ، والى ان الدعم الاقتصادي هو رديف للعمل العسكري .

★★★

تناولنا في هذا الفصل المبادىء الاساسية للسياسة الخارجية في الاتحاد السوفييتي وبيّنا كيف تنعكس هذه المبادىء على مواقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية. ولئن كان من بين هذه المواقف اتخاذ موقف متحفظ جدا ازاء اسرائيل ، فان هذا الموقف المتحفظ يعزى ايضا الى معاداة

---

٢٤ — Israel Government Yearbook — 1966/67 (Jerusalem: Government Printer, 1967), p. 148.

الاتحاد السوفييتي ، من حيث المبدأ والتطبيق الداخلي ، للحركة الصهيونية . وهذا الموقف المبدئي مستمد من العقيدة الماركسية اللينينية التي جاهرت منذ البدء بعدائها للصهيونية كحل للمسألة اليهودية . وعلى هذا فاننا سنتحول في الفصل الثاني من هذه الدراسة الى بحث موقف العقيدة الشيوعية من الحركة الصهيونية .

الفصل الثاني

الماركسية والمسألة اليهودية

الوطن العربي حديث العهد بما يسمى بالمسألة اليهودية. فالمسألة اليهودية ، وهي المسألة الناجمة عن التمييز العنصري والديني واضطهاد اليهود اللذين ظهرا بصورة حادة في المانيه النازية قد عرفتها اوروبه منذ زمن طويل . فتاريخ الاضطهاد اليهودي في اوروبه تاريخ حافل وطويل ، بينما لم يمارس العرب في ديارهم على وجه الاجمال مثل هذا الاضطهاد (١) .

وقد نشأت الحركة الصهيونية كنتيجة من نتائج اضطهاد اليهود في اوروبه لا سيما القسم الشرقي منها ، اذ كان من نتائج هذا الاضطهاد واثاره ان نشأت الحركة الصهيونية ردا على هذا الاضطهاد ، وهي حركة قومية شوفينية ترمي الى جمع شتات اليهود المتفرقين في العالم في دولة قومية في فلسطين .

وكان من جراء وجود المسألة اليهودية في اوروبه ان

---

١ - تجدر الملاحظة هنا ان المسألة اليهودية في اوروبه كانت وليدة اضطهاد الاوروبيين لليهود ، اما بالنسبة الى العرب فتطرح المسألة بصورة معكوسة . فهي نتيجة اضطهاد اليهود للعرب وتشريدهم والاعتداء عليهم وحرمانهم من حقوقهم .

تعرضت لها بالبحث والدراسة تيارات الفكر الاوروبي الحديث متخذة منها مواقف معينة محددة . ومن هذه التيارات الفكرية العقيدة الشيوعية التي اتخذت منذ البدء موقفا فكريا معينا من المسألة اليهودية ، وبالتالي ، من وليدتها الحركة الصهيونية .

ثم ما لبث هذا الموقف النظري ان تبلور باجراءات عملية اقدمت عليها حكومة الاتحاد السوفييتي في اعقاب انتصار الثورة البلشفية في روسيه واقامة الدولة السوفييتية الجديدة على المبادىء الماركسية اللينينية . وسنحلل في النبذة الاولى من هذا الفصل موقف العقيدة الشيوعية من المسألة اليهودية ومن الصهيونية ، ونحلل في نبذة ثانية الاجراءات العملية التي طبقتها حكومة الاتحاد السوفييتي لحل المسألة اليهودية والتي اتخذتها تجاه الحركة الصهيونية بهدي من مبادىء الفكر الماركسي .

النبذة الاولى : العقيدة الماركسية والمسألة اليهودية

سندرس هنا افكار كل من كارل ماركس وفلاديمير لينين وجوزف ستالين في المسألة اليهودية ووليدتها الحركة الصهيونية .

١ ـ كارل ماركس

كتب ماركس دراسة عن المسألة اليهودية (٢) ناقش فيها كتابات غيره من المفكرين الاوروبيين حول هذا الموضوع ،

٢ ـ Karl Marx, «On the Jewish Question», Selected Essays, Trans, by H. J. Stenning (New York: International Publishers, 1926).

وخلص ماركس الى القول بان تحرير اليهود سياسيا ليس بكاف لحل المسألة اليهودية . فحل هذه المسألة يتطلب اعادة تنظيم المجتمع وبناءه على اسس جديدة مما يكفل منع الاتجار واعمال الوساطة التجارية . فاليهودية كظاهرة اجتماعية تنتعش في المجتمع البرجوازي القائم على التجارة والربح وعمل الوسطاء ، والقضاء على هذه الظروف في المجتمع يقضي على اليهودية كظاهرة اجتماعية ، وبالتالي ، يوجد الحل للمسألة اليهودية .

وفيما يلي بعض المقتطفات من كتابات ماركس :

« ان تنظيم المجتمع الذي يلغي الظروف الاساسية للاتجار بواسطة الوسطاء والباعة المتجولين والدلالين ، ويلغي بالتالي امكان القيام بذلك العمل يجعل صفة اليهودي مستحيلة. فالوعي الديني لليهودي سيتحلل ويذوب كالسديم في الهواء الحيوي الحقيقي للمجتمع (٣) » .

« ان القومية الوهمية لليهودي هي قومية التاجر ورجل النقود بصورة عامة (٤) » .

« فور ما ينجح المجتمع في القضاء على الجوهر العملي لليهودية ، وهو البائع المتجول ، والظروف والاوضاع التي تنتجه ، فان صفة اليهودي تصبح مستحيلة لان وعيه لن يكون له موضوع يقابله ، ذلك لان الاساس الذاتي لليهودية اي الحاجات العملية يرتدي طابعا انسانيا بسبب القضاء على النزاع والصراع بين الوجود الحسي للفرد مع وجوده العام (٥) » .

٣ ـ المرجع ذاته ، ص ٨٨ .
٤ ـ المرجع ذاته ، ص ٩٣ .
٥ ـ المرجع ذاته ، ص ٩٥ .

« تصل اليهودية ذروتها عند اكتمال المجتمع البرجوازي (٦) » .

« ان تحرير اليهودي من الناحية الاجتماعية سيحرر المجتمع من اليهودية (٧) » .

ب ـ فلاديمير لينين

تتمّم كتابات لينين حول المسألة اليهودية ، وهي قد ظهرت في فترة لاحقة ، كتابات ماركس وتكمّلها . ففي حين عالج ماركس المسألة اليهودية وطرق ووسائل حلها ، كتب لينين الى جانب ذلك عن الحركة الصهيونية التي نشأت وترعرعت في ايامه . هاجم لينين الحركة الصهيونية (٨) واتخذ منها موقفا صريحا سنراه يتمثل في اجراءات عملية طبقها بعد نجاح الثورة في الامبراطورية الروسية، فالصهيونية برأي لينين، حركة رجعية وتسير في عكس مصالح البروليتاريا اليهودية .

ولا تشكل الحركة الصهيونية عند لينين حلا للمشكلة اليهودية على الاطلاق بل الحل الوحيد هو اندماج اليهود وانصهارهم في المجتمعات التي يعيشون فيها وذلك بالغاء جميع انواع الاضطهاد والتمييز وباعلان المساواة بين جميع المواطنين . وفيما يلي بعض المقتطفات من كتابات لينين :

---

٦ و ٧ ـ المرجع ذاته ، ص ٩٧ .

٨ ـ بادل حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني واول رئيس دولة لاسرائيل فلاديمير لينين هذا الاستياء والتهجم . انظر الصفحة السابعة من كتابه :
Trial and Error (London: Hamish Hamilton, 1949).

« ولكن حجة البوند (٩) الثالثة التي تتذرع بفكرة الامة اليهودية لها بلا ريب طبيعة المبدأ . ولكن لسوء الحظ ان هذه الفكرة الصهيونية هي خاطئة خطأ مطلقا ورجعية من حيث جوهرها (١٠) » .

« ... ان الفكرة القائلة بان اليهود يشكلون امة منفصلة عن غيرها هي غير ثابتة من الناحية العلمية على الاطلاق ، عدا عن كونها فكرة رجعية من الناحية السياسية . وتعطينا الوقائع المعروفة للتاريخ الحديث وللحقائق السياسية المعاصرة برهانا عمليا لا يمكن دحضه على ذلك. ففي جميع انحاء اوروبه رافق انهيار العصور الوسطى وتقدم الحرية السياسية التحرر السياسي لليهود وتركهم لليديش واستعمالهم لغة الشعوب التي يعيشون بينها ، وبوجه عام اندماجهم شيئا فشيئا مع السكان المحيطين بهم .. هل بامكاننا ان نعزو الى الصدفة ان تكون القوى الرجعية في جميع انحاء اوروبه ، ولا سيما في روسيه ، هي التي تعارض اندماج اليهود وتسعى الى ادامة عزلتهم ؟

« ان المشكلة اليهودية، على وجه الدقة هي : الاندماج او الانعزال . وان فكرة القومية اليهودية هي بلا ريب فكرة رجعية ، ليس فقط عندما ينادي بها المنادون بها بصورة دائمة (وهم الصهيونيون) ، ولكن ايضا عند اولئك الذين يحاولون ان يجمعوا بينها وبين افكار الديموقراطية الاجتماعية (جماعة

---

٩ ـ البوند حزب سياسي وهو الاتحاد العام للعمال اليهود في لتوانيه وبولونيه وروسيه، تأسس عام ١٨٩٧ نتيجة مؤتمر عقد في فلنه ، ثم نما وانتشر بين العمال اليهود.

١٠ ـ Vladimir Lenin, «The Position of the Bund in the Party» **Collected Works, Second Edition (Moscow:** 1965), Vol. VII, p. 99.

البوند) . ان فكرة القومية اليهودية تسير في عكس مصالح البروليتاريا اليهودية لانها تنمي بينهم بصورة مباشرة او غير مباشرة روحا معادية للاندماج ــ وهي روح الفيتو .

« ويعبر كارل كاوتسكي ، لا سيما بالنسبة الى اليهود الروس بصورة اشد حيوية فيقول ان العداء تجاه فئات السكان غير الاصليين لا يمكن ازالتها الا عندما توقف هذه الفئات عن ان تكون غريبة وتمتزج بعامة السكان . ان هذا هو الحل الوحيد للمسألة اليهودية وعلينا ان ندعم كل ما من شأنه ان ينهي حالة العزلة لدى اليهود (١١) » .

« ان مصالح الطبقة العاملة ــ ومصالح الحرية السياسية بوجه عام ــ تتطلب على العكس اكمل مساواة بين جميع الفئات القومية في الدولة دون استثناء كما تتطلب ازاحة كل نوع من الحواجز بين الامم في المدارس ، الخ . ولا يمكن ان تصبح الطبقة العاملة قوة تقاوم الرأسمالية وتحقق تحسنا هاما في احوالها المعيشية الا بنبذ كل تحيز همجي وقومي احمق وبتجميع عمال كل الامم في منظمة واحدة (١٢) » .

« ان انتفاء الامتيازات لأية امة او اية لغة، وانتفاء حتى اقل درجة من الاضطهاد او الظلم الموجه ضد الاقلية القومية هي مبادىء ديموقراطية الطبقة العاملة (١٣) » .

---

١١ ــ المرجع ذاته ، الصفحتان ١٠٠ ــ ١٠١ . انظر ايضا
«Does the Jewish Proletariat need and Independent Political Party».
المرجع ذاته ، الصفحات ٣٣٠ ــ ٣٣٥

١٢ ــ «The Nationalisation of Jewish Schools», المرجع ذاته ، الجزء ١٩ ، ص ٣٠٨ .

١٣ ــ «The Working Class and the National Question», المرجع ذاته ، ص ٩٢ .

ج ــ جوزف ستالين

في دراسته المشهورة التي ظهرت عام ١٩١٣ حول الماركسية والمسألة القومية (١٤) ، بيّن ستالين ان اليهود لا يؤلفون امة . فالامة ، برأي ستالين ، تتكون من لغة مشتركة وارض مشتركة وحياة اقتصادية واحدة وتركيب نفسي واحد ومشترك (١٥) . ولا يمكن ان تتحقق الامة الا بوجود هذه العوامل جميعها ، وهذا امر غير متوافر بالنسبة الى اليهود . وكذلك هاجم ستالين الحركة الصهيونية واتهمها بالشوفينية (١٦) .

وفيما يلي بعض فقرات من اقوال ستالين حول هذا الموضوع :

« من الممكن تصور شعب يحوز على طبع قومي مشترك ولكن لا يمكن ان يقال ان هذا الشعب يشكل امة واحدة اذا كان افراده غير متحدين من الناحية الاقتصادية ، ويسكنون مناطق مختلفة ويتكلمون لغات مختلفة وما الى ذلك . وهذا هو ، على سبيل المثال ، وضع اليهود الروس والجاليسيين والاميركان والقفقاسيين الذين لا يشكلون برأينا امة واحدة (١٧) » .

« ... ان اليهود المعددين (اليهود الجورجيين والداغستانيين واليهود الروس والاميركان) يعيشون نفس

---

١٤ ــ Joseph Stalin, **Marxiasm and the National and Colonial Question** (Moscow: Co-operative Publishing Society, 1935).

١٥ ــ المرجع ذاته ، الصفحات ٥ ــ ٨ .

١٦ ــ المرجع ذاته ، ص ٤ .

١٧ ــ المرجع ذاته ، ص ٨ .

الحياة الاقتصادية والسياسية التي يعيشها الجورجيون والداغستانيون والروس والاميركان ، كما يعيشون في نفس المحيط الثقافي الذي يعيش فيه هؤلاء . ولا بد من ان يترك هذا الامر اثرا واضحا على طبعهم القومي . واذا بقي لهم من شيء مشترك فهو دينهم واصلهم المشترك وبعض بقايا الطبع القومي . ان هذا امر ثابت ، ولكن كيف يمكن القول بجدية ان الطقوس الدينية المتحجرة والبقايا النفسية الذاوية تؤثر في مصير هؤلاء اليهود بصورة افعل واقوى من البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تحيط بهم ؟ (١٨) » .

النبذة الثانية : الاجراءات العملية تجاه المسألة اليهودية

لدى انتصار الثورة البلشفية واستلامها زمام الحكم في الاتحاد السوفييتي، فتح المجال امام اصحاب العقيدة الماركسية لتطبيق آرائهم ومعتقداتهم بصورة عملية . وبالنسبة الى المسألة اليهودية اتخذت عدة اجراءات عملية مستوحاة من الفكر النظري الماركسي . وتنقسم هذه الاجراءات الى شقين، الشق الاول ويهدف الى الغاء كل نوع من التمييز ضد اليهود او اضطهادهم ، والشق الثاني ويهدف الى محاربة التنظيمات الصهيونية ، كل ذلك بغية تحقيق اندماج البهود في المجتمع السوفييتي .

أ – الاجراءات الرامية الى اعلان المساواة بين المواطنين والى ملاحقة مثيري النزعات اللاسامية .

واهم هذه الاجراءات هي اربعة حسب تاريخ صدورها :

١٨ – المرجع ذاته ، ص ١٠ .

١ – اعلان بالغاء الامتيازات والقيود العنصرية والقومية والدينية .

٢ – بيان صادر عن مجلس مفوضي الشعب عام ١٩١٨ يحذر من اضطهاد اليهود والحركة اللاسامية .

٣ – تحريم النشاطات والدعاية الرامية الى اضطهاد اليهود بموجب نص خاص وفي قانون العقوبات .

٤ – النص في الدستور على المساواة بين المواطنين .

١ – اعلان بالغاء الامتيازات والقيود العنصرية والقومية والدينية .

في الخامس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ اصدر مجلس مفوضي الشعب اعلانا وقّعه لينين بصفته رئيسا لهذا المجلس وستالين بصفته مفوضا للقوميات الغيت بموجبه جميع الامتيازات والقيود القومية والدينية وكفل التطور والنمو الحر للاقليات القومية والعناصر التي تسكن روسيه .

٢ – بيان عام ١٩١٨

صدر هذا البيان عن مجلس مفوضي الشعب ونشر في الازفستيا بتاريخ ٢٧ تموز (يوليو) ١٩١٨ ونص على ما يلي :

« وفقا للمعلومات التي وصلت الى مجلس مفوضي الشعب ، يقوم مناهضو الثورة في عدة مدن ، لا سيما في تلك المجاورة للجبهة ، باثارة النعرات ضد البهود مما يؤدي الى حدوث فظائع ترتكب في عدة امكنة ضد الجماهير اليهودية الكادحة .

« ... لا مكان للاضطهاد القومي في جمهورية روسيه السوفييتية الاتحادية حيث اعلن مبدأ تقرير المصير للجماهير الكادحة لكل الشعوب . ان عدونا هو البورجوازي اليهودي

ليس بصفته كيهودي ولكن بصفته كبورجوازي . ان العامل اليهودي هو اخ لنا . وان اثارة الحقد على اي امة هو غير مسموح ومعيب الى جانب كونه يشكل جرما جزائيا .

« يعلن مجلس مفوضي الشعب ان الحركة اللاسامية والمذابح الموجهة ضد اليهود تهدد بالقضاء على مصالح ثورة العمال والفلاحين وهو يدعو الشعب الكادح في روسيه الاشتراكية الى مقاومة هذا الشر بكل الوسائل الممكنة .

« ويوجه مجلس مفوضي الشعب جميع ممثلي السوفييت الى اتخاذ الاجراءات التي من شأنها ان تقضي بصورة فعالة على الحركة اللاسامية في جذورها . وهو يأمر بملاحقة جميع من يقومون بالمذابح ضد اليهود ويثيرون الناس للقيام بها (١٩) » .

٣ ـ قانون العقوبات

تنص الفقرة السابقة من المادة ٥٩ من قانون العقوبات على ما يلي :

« تعاقب الدعاية او النشاطات الرامية الى اثارة العداوة القومية او الدينية ويعاقب كذلك نشر الكتابات من هذا النوع او طباعتها او حيازتها بالحبس لفترة لا تقل عن سنتين » .

٤ ـ الدستور

تنص المادة ١٢٣ من دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية

١٩ ـ راجع نص هذا البيان في :
Solomon Schwarz, **The Jews in the Soviet Union** (Syracuse University Press, 1951), pp. 247 - 257; B. Z. Goldberg, **The Jewish Problem in the Soviet Union**, (New York: Crown Publishers, 1961), pp. 357 - 358.

السوفييتية الصادر في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ على ما يلي :

« المساواة في الحقوق بين مواطني الاتحاد السوفييتي، بصرف النظر عن القومية والعنصر في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والعامة والثقافية والاجتماعية والسياسية ، هي قانون ثابت لا يمكن التنازل عنه ولا يمكن ابطاله .

« ويعاقب القانون على كل تضييق مباشر او غير مباشر للحقوق ، او العكس ، على كل اقرار لامتيازات مباشرة او غير مباشرة في مصلحة المواطنين بسبب العنصر او القومية التي ينتمون اليها كما يعاقب على كل دعاية لاثرة عنصرية او قومية او للحقد والازدراء (٢٠) » .

ب ـ القضاء على النظميات اليهودية لا سيما الصهيونية منها .

في حزيران (يونيو) عام ١٩١٩ اتخذت الفروع اليهودية في الحزب الشيوعي قرارا في موسكو نص على ما يلي :

« يقوم الحزب الصهيوني بدور مضاد للثورة ، وهو مسؤول عن تقوية روح التعصب الديني والقومي بين الجماهير اليهودية المتأخرة، مما يودي بحق تقرير المصير الطبقي للجماهير اليهودية الكادحة ويؤخر عملية تغلغل الافكار التقدمية في اوساطها تأخرا كبيرا . وفيما يختص بسياسته نحو فلسطين، يشكل الحزب الصهيوني اداة للامبريالية المتحالفة التي تحارب الثورة البروليتارية . ونظرا لجميع هذه الظروف فان المؤتمر يطلب الى المكتب المركزي ان يقترح على السلطات المختصة

٢٠ ـ تنص المادة ١٢٤ من الدستور على حرية العبادة الدينية وحرية الدعاية اللادينية .

اصدار قرار يوقف جميع نشاطات الحزب الصهيوني في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية (٢١) » .

وسرعان ما حلت النوادي والمنظمات الصهيونية واعتقل الكثيرون من زعماء الحركة الصهيونية لا سيما في بتروغراد وكييف وموسكو (٢٢) . وكان الصهيونيون يحاكمون بموجب تهمتين هما عضوية منظمة سرية شبه عسكرية ، وصلتهم بالدول الاجنبية لا سيما انجلتره التي منحتهم وعد بلفور . ولقد سارعت الحركة الصهيونية في العالم الى الاتصال بالعناصر الصهيونية في الاتحاد السوفييتي. ففي عام ١٩٢٧ وصل مبعوثان صهيونيان من فلسطين سرا الى الاتحاد السوفييتي بغية الاتصال بالعناصر الصهيونية وتنظيمها ولكنهما اعتقلا (٢٣) .

---

٢١ — Salo Baron, **The Russian Jew Under Tsars and Soviets** (New York : The Mcmillan Co., 1964)), p. 208.

٢٢ — يقدر سالو بارون ، المرجع ذاته ، عدد الصهيونيين الذين اعتقلوا آنذاك بثلاثة آلاف شخص . ويبرز كتاب صدر في تل ابيب اضطهاد الصهيونيين في الاتحاد السوفييتي ، ولكن يبدو لنا ان المؤلف قد غالى في الوصف ، فالكتاب مصاغ بلهجة عاطفية ويرمي الى ابراز الاضطهاد الذي لاقته الصهيونية في الاتحاد السوفييتي ، ومن ثم فهو يهدف الى استدرار الشفقة عليهم . واسم الكتاب :

Benjamin West, **Struggles of a Generation** (Tel Aviv: Massadah Publishing Co., 1959).

٢٣ — Judd Teller, **The Kremlin, the Jews and the Middle East** (New York: Thomas Yoseloff, 1957).

وكذلك اتخذت الفروع اليهودية في الحزب الشيوعي بالتاريخ ذاته قرارا يقضي بالطلب الى السلطات المسؤولة بحل التنظيمات الدينيــة اليهودية ومصادرة اموالهـا لان هـذه التنظيمات تشكل نقطة تجمع لاعداء الطبقة العاملة ومنجزات ثورة اكتوبر ، ولانها تعطل الوعي الطبقي للجماهير اليهودية العاملة وتثقف الجيل اليهودي الصاعد بروح مضادة لـروح البروليتاريا . ولقد استجابت الحكومة لهذا الطلب فاصدرت قرارا مؤرخا في ٥ آب (اغسطس) ١٩١٩ حلت بموجبه التنظيمات الدينية اليهودية وصادرت ممتلكاتها . وفي الوقت ذاته اغلقت المدارس التي تدرس باللغة العبرية على اساس ان هذه اللغة لا تشكل لغة لاي اقلية من الاقليات في الاتحـاد السوفييتي وعلى اعتبار ان لغة اليهود في الاتحاد السوفييتي هي « اليديش » وليست العبرية .

ان هذا العداء للصهيونية كفكرة وحركة لا يزال سائدا في الاتحاد السوفييتي . ففي عـام ١٩٦٥ ولدى مناقشة اللجنة الاجتماعية والانسانية والثقافية التابعة للامم المتحدة لمسودة معاهدة ترمي الى ازالة التمييز بكافة صوره واشكاله والوانه ، طلب ممثل الاتحـاد السوفييتي ادانـة الصهيونية واللاسامية والنازية والنازية الجديدة وجميعاشكال الاستعمار والكراهية القومية والعنصرية . وبعد جدال واخذ ورد قررت اللجنة عدم الاشارة في المعاهدة المنوي اقرارها الى اي نوع او شكل محدد من انواع التمييز العنصري .

وبناء على هذا الموقف المبدئي المعادي للصهيونية استطاع وفد منظمة التحرير الفلسطينية الى مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي اللاتيني المعقود في هافانه ، كوبه في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٦ بالاتفاقمع وفود اخرى ومن بينها وفد الاتحاد السوفييتي ان يخرج بقرار ينص على ما يلي :

« يعتبر المؤتمر الصهيونية حركة استعمارية بطبيعتها وهويتها عدوانية توسعية باهدافها عنصرية في تركيبها وفاشية في اساليبها ووسائلها (٢٤) » .

---

٢٤ ـ يكاد يكون هذا النص مطابقا للمادة ١٩ من ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية التي تنص على ما يلي :
« الصهيونية حركة استعمارية في نشوئها ، عدوانية وتوسعية في اهدافها عنصرية تعصبية في تكوينها ، وفاشستية بمراميها ووسائلها » .

الفصل الثالث

اليهود في الاتحاد السوفييتي

لا نكير بان عدد اليهود في الاتحاد السوفييتي وقوتهم يشكلان عاملا من العوامل التي تؤثر احيانا في السياسة السوفييتية تجاه القضية الفلسطينية . فاليهود في الاتحاد السوفييتي قد يشكلون عاملا ضاغطا يؤثر في السياسة السوفييتية الخارجية تجاه القضية الفلسطينية، وهم يشكلون مصدرا من مصادر القوة للحركة الصهيونية من حيث امكان هجرتهم الى اسرائيل باعداد كبيرة ، ووضعهم في الاتحاد السوفييتي مصدر من مصادر الضغط على الاتحاد السوفييتي تستغله الحركة الصهيونية لزحزحة الاتحاد السوفييتي عن موقفه المتحفظ ازاء اسرائيل . وسنبحث فيما يلي هذه العوامل الثلاثة بشيء من التفصيل . ولكن لا بد لنا قبل ذلك من مقدمة نتعرّف فيها الى عدد اليهود ووضعهم في الاتحاد السوفييتي .

النبذة الاولى : عدد اليهود في الاتحاد السوفييتي

قدر عدد اليهود في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٦٥ ب ٢٫٤٨٦٫٠٠٠ نسمة من اصل ٢٢٩ مليونا من المواطنين السوفييت (١) اي حوالي ١٫١ ٪ من السكان . وقد بني هذا

---

١ ـ **American Jewish Committtee, American Jewish Yearbook**, Vol. 67, p. 369.

التقدير على اساس تعداد السكان الذي اجرى في الاتحاد السوفييتي عام١٩٥٩ والذيبلغ فيه عدد اليهود ٢ر٢٦٨ر٠٠٠ يهودي تتوزع الاكثرية الساحقة منهم على الجمهوريات الاتحادية التالية :

في روسيه	٨٧٥ر٠٠٠
في اكرانيه	٨٤٠ر٠٠٠
في روسيه البيضاء	١٥٠ر٠٠٠
في ملدافيه	٩٥ر٠٠٠
في ازبكستان	٥٤ر٠٠٠
في جورجيه	٥٢ر٠٠٠
في لاتفيه	٣٧ر٠٠٠
في لتوانيه (٢)	٢٥ر٠٠٠

ويعود وجود اليهود في روسيه الى تاريخ قديم اذ هاجر اليها التجار اليهود من القسطنطينية ومن منطقة الخزر واقاموا فيها منذ زمن قديم لا سيما في مدينة كييف ، اما مدينة موسكو فقد منعهم القياصرة من السكن فيها . وتزايد عدد اليهود في روسيه نتيجة لتقسيم بولنده الاول عام ١٧٧٢ اذا دخل اكثر من مئة الف يهودي تحت حكم القياصرة .

واتصفت معيشة اليهود في روسيه القيصرية باضطهاد مستمر فبموجب امر امبراطوري صادر عام ١٧٩١ فرض على اليهود السكن والاقامة في اماكن محددة ، ومنذ عام ١٧٩٤ واليهود في روسيه يدفعون ضرائب تساوي ضعفي الضرائب التي يدفعها السكان . ثم تعرض اليهود لسلسلة من

٢ — Solomon Rabinovitch, **Jews in U.S.S.R.** (Moscow: Novosti Press Agency Publishing House, 1965), p. 18.

المذابح عام ١٨٨١ ، وطردوا من موسكو عام ١٨٩٠ . وفي عام ١٩٠٣ تعرض اليهود القاطنون في مدينتي كيشنيف وهومل لمذابح دامية .

وقد بلغ عدد اليهود في الامبراطورية الروسية قبيل الحرب العالمية الاولى ستة ملايين نسمة تقريبا وهي اكبر مجموعة من اليهود التي تقطن في دولة واحدة (٣) .

في مثل هذه الظروف المؤاتية ، ترعرعت الحركة الصهيونية واشتد ساعدها في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، فعارضت الاندماج بالمجتمع الروسي واكدت بقوة على وجود الشعب اليهودي واستقلاله وتمايزه عن الشعب الروسي وعلى ضرورة الكفاح والنضال للحصول على الحقوق القومية لليهود . وساعد التمييز ضد اليهود واضطهادهم ايام القياصرة على انتشار الفكرة الصهيونية ونموها فاصبحت اقوى قوة محركة لدى اليهود ايام القياصرة . وقدر البعض الجماعات الصهيونية المحلية العاملة في روسيه القيصرية ب ١٢٠٠ جماعة يقدر عدد اعضائها بثلاثمئة الف يهودي (٤) .

تقيم اكثرية يهود الاتحاد السوفييتي في المدن الكبيرة وقد بلغ عددهم التقريبي في بعض المدن الكبيرة كما يلي :

٣ — S. Federbush, ed., **World Jewry Today** (London: W. H. Allen, 1959), p. 641.

وقد قدر عددهم في الامبراطورية الروسية عام ١٨٩٧ ب ٥ر٢١٥ر٠٨٠ نسمة ، انظر الجدول رقم ١ من كتاب سولمون شوارز ، المرجع السابق ، ص ١١ .

٤ — سالو بارون ، المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

موسكو	٤٠٠ر٠٠٠
كييف	١٠٠ر٠٠٠
باكو	١٠٠ر٠٠٠
لينينغراد	١٠٠ر٠٠٠
اودسه	١٧٠ر٠٠٠
طشقند	١٠٠ر٠٠٠
خاركوف	٩٠ر٠٠٠ (٥)

والى جانب المدن يقيم حوالي مئة الف يهودي في اقليم بيرو بدجان وهو الاقليم اليهودي المستقل ذاتيا . ولا بد لنا من ان نفصّل قليلا وضع هذا الاقليم .

انشيء هذا الاقليم في ٧ ايار (مايو) ١٩٣٤ بموجب قرار صادر عن اللجنة المركزية التنفيذية لجميع روسيه ، ويحسن بنا ان نلقي نظرة على النظام السوفييتي كي نتفهم وضع هذا الاقليم ضمن التنظيم السياسي للاتحاد السوفييتي .

يتألف الاتحاد السوفييتي من عدة جمهوريات اتحادية يبلغ عددها خمس عشرة جمهورية هي : روسيه ، وروسيه البيضاء ، واكرانيه ، وملدافيه ، وجورجيه ، وارمينيه ، وليتوانيه ، ولاتفيه ، واستونيه ، وازبكستان ، وطاجكستان ، وتركمنستان ، وازربيجان ، وكازاخستان ، وقيرغيزيه .

وبسبب تعدد القوميات في الجمهوريات الاتحادية التي يتشكل منها الاتحاد السوفييتي (في روسيه وحدها اكثر من مئة قومية منها اليهود) ، تنقسم كل جمهورية اتحادية بدورها الى جمهوريات مستقلة استقلالا ذاتيا ولها احد عشر ممثلا في مجلس القوميات ، والى اقاليم مستقلة استقلالا ذاتيا لها خمسة

---

٥ — فيدربش ، المرجع السابق ، الصفحات ٦٤٣ — ٦٤٧ .

ممثلين في مجلس القوميات ، والى مناطق قومية لها ممثل واحد في مجلس القوميات .

وبيروبدجان اقليم مستقل استقلالا ذاتيا كانت الغاية من انشائه عام ١٩٣٤ (٦) انشاء منطقة خاصة باليهود . وهو يقع في الشرق الاقصى على حدود الصين الشعبية (راجع الخارطة على الصفحتين التاليتين) وتبلغ مساحته ٣٥ الف كيلومتر مربع (٧) ، وبه مدينتان هما بيروبدجان واوبليتش الى جانب ٤٣ قرية (٨) . ويبلغ عدد سكان الاقليم حوالي مئتي الف نسمة نصفهم من اليهود (٩) . وفي الاقليم جريدتان جريدة بالروسية واخرى باليديش ، هي « بيرو بدجانر شترن » وتصدر مرتين بالاسبوع ويبلغ توزيعها حوالي الالف نسخة (١٠) .

ولا بد لنا من التأكيد ان اقامة اقليم يتمتع باستقلال ذاتي لليهود وفي الاتحاد السوفييتي ، وان كان فيه اقرار ضمني بان اليهود يشكلون قومية منفصلة ، الا ان المبادىء التي اقيم عليها مختلفة تمام الاختلاف ، ان لم تكن مناقضة للحركة الصهيونية (١١) .

---

٦ — بيد ان حركة تهجير اليهود من مدن الاتحاد السوفييتي الى تلك المنطقة ابتدات قبل ذلك بست سنوات .

٧ — تبلغ مساحة فلسطين كلها حوالي ٢٧ الف كيلومتر مربع .

٨ — سولومون رابينوفتش ، المرجع السابق ، ص ٨ .

٩ — فيدربش ، المرجع السابق ، ص ٦٤٨ .

١٠ — المصدران السابقان .

١١ — قيل ايضا ان من بين الاهداف التي انشيء من اجلها اقليم بيروبدجان المستقل اسكان المنطقة لحماية خط الدفاع في الشرق الاقصى .

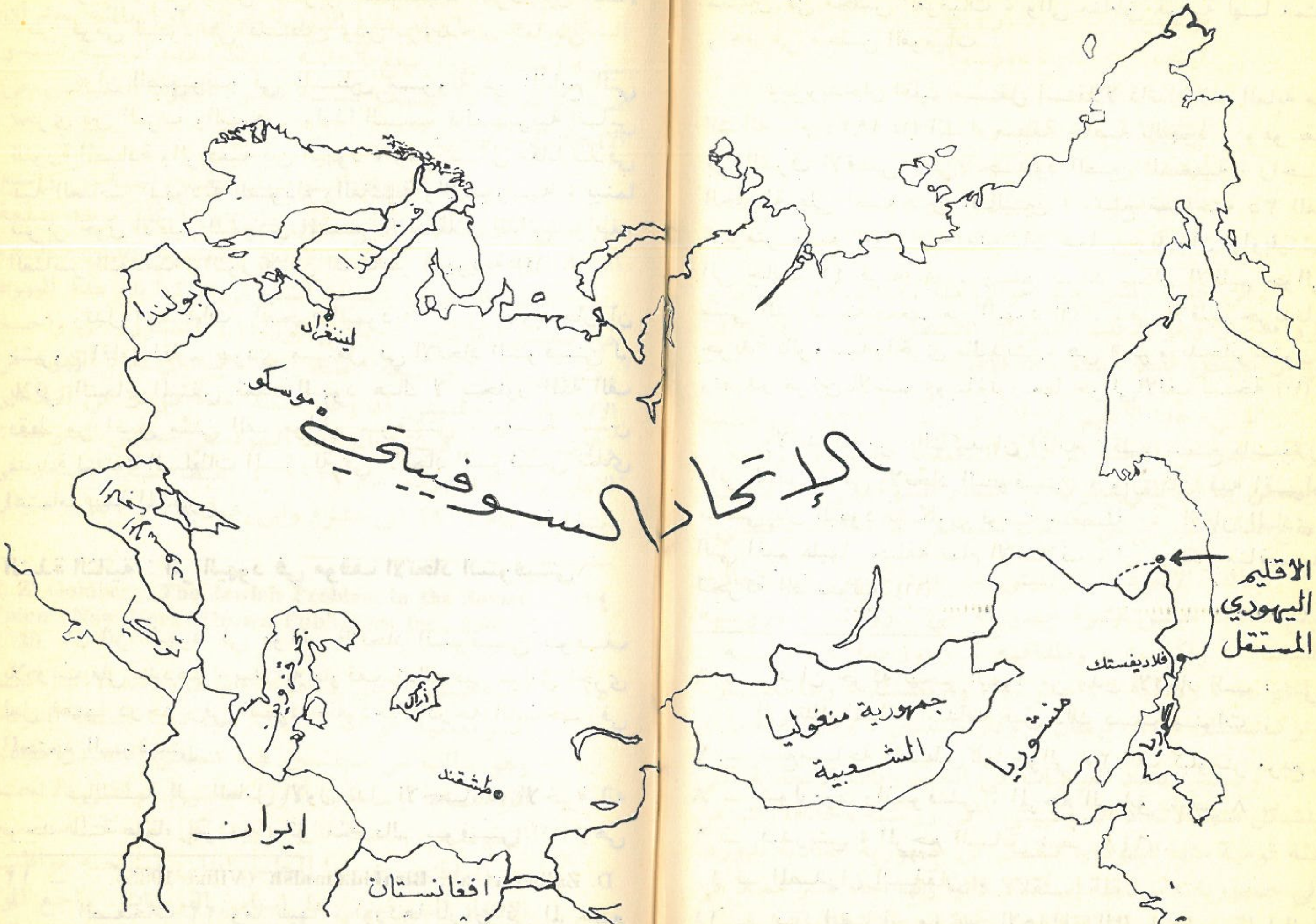
الإتحاد السوفييتي
موسكو
لينينغراد
فنلندا
بولندا
آرال
طشقند
ايران
افغانستان
جمهورية منغوليا الشعبية
منشوريا
فلاديفستك
كوريا
الاقليم اليهودي المستقل

وقد اوضح بعض المفكرين السوفييت الفرق بين انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وبين بيروبدجان كما يلي :

« ان الصهيونية في فلسطين مسؤولة عن المذابح التي تجري بين العرب واليهود . ولهذا السبب فالصهيونية اساس للثورة المضادة والرجعية بين اليهود ، وهي تشكل مكانا تتلاقى فيه العناصر اليهودية السوداء والفاشية والاكليروسية ، بينما تتركز حول الاقليم اليهودي المتمتع بالاستقلال الذاتي عواطف العناصر التقدمية والثورية في الجماهير اليهودية (١٢) » .

وتدل احصاءات الهجرة اليهودية الى بيروبدجان ان مشروع اقامة اقليم يهودي مستقل في الاتحاد السوفييتي لم يلاقي النجاح المنتظر فعدد اليهود هناك لا يتجاوز المئة الف فقط من اصل مئتي الف مواطن سوفييتي ، ومنذ سنين عديدة لم تعد السلطات المسؤولة في الاتحاد السوفييتي تبدي اهتماما بهذا المشروع .

النبذة الثانية : اثر اليهود في موقف الاتحاد السوفييتي

ان اثر اليهود في موقف الاتحاد السوفييتي يتوقف بلا ريب على عددهم ، بيد انه يتوقف كذلك على عوامل اخرى لعل اهمها درجة رقي اليهود ونفوذهم ودرجة اندماجهم في المجتمع السوفييتي .

فبالنسبة الى العامل الاول تدل الاحصاءات الاخيرة انه يوجد ستة علماء يهود بين كل مئة عالم سوفييتي (١٣) وهي

١٢ ـ D. Zalbefert al., **Birabidzhanish** (Vilna 1935). الصفحات ٢٢ وما يليها ، اوردها بارون في المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

١٣ ـ رابينوفتش ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

نسبة عالية اذا ما قورنت بنسبة عدد اليهود الى مجموع السكان . فبينما تبلغ هذه النسبة حوالي ١ر١ بالمئة نجد ان نسبة العلماء اليهود تبلغ ٦ بالمئة . ولكن هذه النسبة تبدو ضخمة للغاية اذا قيست بنسبة نفوذ اليهود السياسي في الاتحاد السوفييتي .

كان ليهود الاتحاد السوفييتي نفوذ سياسي واسع في مطلع الثورة البلشفية . ففي عام ١٩١٧ كان يوجد سبعة اعضاء يهود من بين الاعضاء الاربعة والعشرين الذين تتألف منهم اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي ، كما بلغ عدد اليهود في مجلس المفوضين (مجلس الوزراء) المكون من واحد وعشرين عضوا ، سبعة اعضاء (١٤) . بيد ان نفوذ اليهود في الاتحاد السوفييتي قد اخذ منذ مدة طويلة في التلاشي والاضمحلال . فبينما بلغ عدد اليهود في مجلس السوفييت الاعلى (١٥) ٤٧ يهوديا عام ١٩٣٧ ، هبط هذا العدد في انتخابات عام ١٩٤٦ الى عشرة والى خمسة عام ١٩٥٠ ، والى

١٤ ـ B. Z. Goldberg, **The Jewish Problem in the Soviet Union** (New York: Crown Publishers Inc., 1961), p. 30.

١٥ ـ السوفييت الاعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو الهيئة التشريعية العليا لسلطة الدولة. وهو يتألف من مجلسين هما مجلس الاتحاد ومجلس القوميات وينتخب الاول جميع مواطني الاتحاد السوفييتي بنسبة نائب واحد لكل ثلاثمئة الف نسمة من المواطنين ، اما المجلس الثاني فينتخبه مواطنو الاتحاد السوفييتي على اساس القوميات. راجع المواد ٣٠ ـ ٥٦ من دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية .

اثنين فقط عام ١٩٥٤ ، هما لازار كاغانوفتش وممثلة عن اقليم بيروبدجان هي راسين فرادكين . اما الممثلون الاربعة الآخرون لاقليم بيروبدجان فلم يكونوا من اليهود (١٦) . وما لبث كاغانوفتش ان اقصي عن الحكم عام ١٩٥٧ .

ولقد كان في السوفييت الاعلى الذي امتدت ولايته من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٦٦ خمسة اعضاء من اليهود من اصل ١٤٤٣ عضوا . وهؤلاء الاعضاء اليهود هم ربيكا فيتشنكن عن بيروبدجان ، وجاكوب كرايز ، وايليا اهرنبرغ وهم اعضاء في مجلس القوميات ، وبنيامين ديمشتيز وجولي خاريتون وهما عضوان في مجلس الاتحاد . وقد كان هذان الاخيران العضوين الوحيدين في اللجنة المركزية للحزب كما ان ديمشتيز يشرف الى جانب ذلك على التخطيط الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي (١٧) .

ويعزو بعض الكتاب انهيار اهمية اليهود السياسية في الاتحاد السوفييتي الى عدم الثقة ببعض العناصر اليهودية الذي ظهر بعد قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ في فلسطين المحتلة . فاسرائيل تجسد الحركة الصهيونية التي تعاديها العقيدة الماركسية من حيث المبدأ وهي الى جانب ذلك سائرة في ركاب الامبريالية العالمية . وشعور بعض يهود الاتحاد السوفييتي بالعطف تجاه اسرائيل فيه اضرار بمصالح الاتحاد السوفييتي ، وهو لا ينسجم مع الحل الماركسي للمسألة اليهودية ولا مع الولاء الكامل المطلوب للمواطن تجاه الدولة والمجتمع الذي يعيش فيه . وقد كتب المفكرون اليهود السوفييت حول هذا الميل والعطف ووصفوه بانه انحراف عقائدي واطلقوا عليه

---

١٦ — فيدربش ، المرجع السابق ، ص ٦٤٣ .

١٧ — **American Jewish Committee, American Jewish Yearbook, Vol. 66, p. 425.**

اسم عدم الانتماء (Cosmopolitanism) لان فيه مساس بالولاء تجاه المجتمع والوطن وعطف على دولة اجنبية تعمل لحساب رأس المال الاميركي . وقد تفاقم شعور عدم الثقة بصدق ولاء اليهود في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٥٣ عندما ظهر ان ستة اطباء يهود من كبار الاطباء في الاتحاد السوفييتي متعاونين مع اطباء سوفييت غير يهود قد دبروا مؤامرة للايقاع بكبار رجال الدولة السوفييت .

اما بالنسبة الى العامل الثاني فمن الواضح ان الدور الذي يمكن ان يلعبه السكان اليهود في الاتحاد السوفييتي في التأثير على موقف الحكومة السوفييتية من القضية الفلسطينية يتوقف على درجة اندماجهم مع بقية المواطنين السوفييت . فبمقدار ما يتسارع هذا الدمج ، تضعف اهمية عدد اليهود في الاتحاد السوفييتي بالنسبة الى اثرهم على القضية الفلسطينية ، اي ان اثر اليهود السوفييت في تأييد اسرائيل يقل كلما ازداد اندماجهم في المجتمع السوفييتي والعكس بالعكس .

ومع ان السياسة السوفييتية ترمي ، كما رأينا الى استيعاب اليهود ودمجهم في المجتمع الشيوعي الجديد ، ومع ان الاتحاد السوفييتي قد نجح في ذلك لدرجة كبيرة ، الا ان التجاوب والتعاطف مع الحركة الصهيونية ومع اسرائيل كمجسدة لهذه الحركة لا يزال موجودا بين يهود الاتحاد السوفييتي ، وان كانت درجته تتفاوت تفاوتا كبيرا بين السكان اليهود .

ومن دلائل هذا التعاطف الاستقبال الضخم الذي اعده يهود موسكو لاعضاء المفوضية الاسرائيلية برئاسة غولدا مايرسون (مائير فيما بعد) عند وصولهم الى الاتحاد السوفييتي بعد حصول اول تبادل دبلوماسي بين البلدين وذلك في الكنيس

اليهودي في موسكو وتحت نوافذ غرف الفندق الذي ينزلون به.

ومن دلائل هذا التجاوب ايضا الحماس الذي اظهره بعض يهود الاتحاد السوفييتي نحو افراد الوفد الاسرائيلي في مهرجان الشبيبة الذي انعقد في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٥٧ . ومن دلائله ايضا ما اوردته التقارير عن اعتقال ثمانية طلاب يهود في مدينة منسك بسبب اقامة خلية صهيونية (١٨) .

ولعلنا نستطيع ان نقيس ولو بصورة تقريبية درجة اندماج اليهود في المجتمع السوفييتي بدرجة انتشار لغة اليديش ، وهي لغة اليهود في الاتحاد السوفييتي ، فالتعلق باللغة مقياس هام للتعلق بالقومية .

فبينما كانت لغة «اليديش» تشكل اللغة الام لـ ٩٦ر٩ ٪ من جميع اليهود الموجودين في روسيه القيصرية عام ١٨٩٧ (١٩)، لم تعد تشكل عام ١٩٢٦ اللغة الام الا لـ ٧٢ر٦٪ من اليهود ، ثم انخفضت عام ١٩٣٩ الى ٣٩ر٧ ٪ وعام ١٩٥٩ تلاشت حتى بلغت ٢٠ ٪ (٢٠) وكذلك فان معالم الحياة الثقافية والدينية (٢١) اليهودية آخذة في الانكماش والتقلص ومنها المدارس القومية اليهودية التي تدرس بلغة « اليديش » وكذلك الجرائد والمطبوعات الصادرة في هذه اللغة .

---

١٨ – **الكتاب اليهودي الاميركي لعام ١٩٦٠** ، الجزء ٦١ المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

١٩ – شوارز ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

٢٠ – رابينوفتش ، المرجع السابق، الصفحتان ٤٠ و ٤١ .

٢١ – في الاتحاد السوفييتي ٩٧ كنيسا ، ومدرسة دينية في موسكو ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

النبذة الثالثة : هجرة اليهود الى اسرائيل

اليهود في الاتحاد السوفييتي مصدر هام من مصادر الهجرة الى اسرائيل ومن المعلوم ان اسرائيل تحاول جاهدة جذب المزيد من اليهود اليها لا سيما وان يهود الاتحاد السوفييتي يشكلون مصدرا هاما لهذه الهجرة الاخذ معينها بالنضوب وذلك من حيث العدد ومن حيث النوعية .

اتبع الاتحاد السوفييتي منذ البداية سياسة واضحة ترمي الى عدم السماح بهجرة مواطنيه من اليهود الى الخارج ولهذا الموقف اسبابه المبدئية ، فالاتحاد السوفييتي باعلانه المساواة بين المواطنين جميعا وبالغائه جميع انواع التمييز ضد اليهود قد اوجد حلا للمسألة اليهودية وليس من مبرر لليهود القاطنين في اراضيه للهجرة الى الخارج .

ومع ان الكثرة الساحقة من المهاجرين اليهود الى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين اتت من الامبراطورية الروسية ، الا ان هذا العدد اخذ يتضاءل شيئا فشيئا بعد نجاح الثورة البلشفية .

ففي الفترة الواقعة بين عام ١٩١٩ و ١٩٢٣ هاجر حوالي ١٥ر٨٠٠ يهودي من الاتحاد السوفييتي الى فلسطين ، وبين عام ١٩٢٤ – ١٩٣١ هاجر ١٥ر٥٠٠ يهودي الى فلسطين ، ثم تضاءل هذا العدد بحيث لم يتجاوز العشرة اشخاص في العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين (٢٢) .

ومنذ ١٥ ايار (مايو) حتى نهاية عام ١٩٥١ لم تسمح السلطات السوفييتية الا بهجرة خمسة اشخاص مسنين الى

---

٢٢ – Joseph Schechtman, **Russian Jewry Revisited,** (New York : Thomas Yoseloff, 1961), p. 198.

اسرائيل ، ولم تسمح السلطات السوفييتية بهجرة اي يهودي في عام ١٩٥٢ والنصف الاول من عام ١٩٥٣ . وفي الفترة الممتدة من تموز (يوليو) ١٩٥٣ الى ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ هاجر حوالي ١٢٥ شخصا من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل، اما في عام ١٩٥٨ فلقد ازداد عدد المهاجرين بحيث بلغ ١٢٠ر١ شخصا (٢٣) . ولا تزال القيود على الهجرة اليهودية الى اسرائيل شديدة لا بل هي ممنوعة في الواقع الا في حالات نادرة تتعلق بجمع شتات العائلات . ففي عام ١٩٦٣ هاجر حوالي مئتي يهودي من يهود الاتحاد السوفييتي إلى اسرائيل (٢٤) .

وتسعى الدوائر الاسرائيلية والصهيونية جهدها لتحمل السلطات السوفييتية على تغيير موقفها هذا بجميع الوسائل الدبلوماسية فهي تثير الموضوع في مذكرات رسمية وفي الاجتماعات التي تتم بين المسؤولين في البلدين . وكذلك اثير الموضوع في المؤتمرات الصهيونية كالجمعية العامة الرابعة للمؤتمر اليهودي العالمي المنعقد في ستوكهولم عام ١٩٥٩ .

النبذة الرابعة : الصهيونية العالمية ووضع اليهود في الاتحاد السوفييتي

من وسائل الضغط التي تتبعها الصهيونية العالمية على الاتحاد السوفييتي كي تحصل منه على بعض التنازلات تجاه اسرائيل هو اثارتها لوضع اليهود في الاتحاد السوفييتي وتصويرهم على انهم فئة مضطهدة يعيشون في جو يسيطر

٢٣ – المرجع ذاته ، ص ١٩٩ .
٢٤ – **الكتاب السنوي اليهودي الاميركي لعام ١٩٦٥** ، الجزء ٦٦ ، المرجع السابق ، ص ٤٣٠ .

فيه الارهاب واللاسامية . ولقد جندت الصهيونية العالمية حملة واسعة النطاق للتشهير بالاتحاد السوفييتي في هذا المجال .

ولقد ظهرت هذه الحملة اول ما ظهرت في مؤتمر عقدته المنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة في السابع من تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٦٣ خصص لبحث وضع اليهود في الاتحاد السوفييتي . وقد اتفق المؤتمرون على ان يقوموا بحملة واسعة داخل الولايات المتحدة وخارجها ترمي الى تخفيف ما اسموه بورطة اليهود في الاتحاد السوفييتي .

وفي ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٦٣ عقد مؤتمر في مركز كارنيجي الدولي في نيويورك لبحث وضع اليهود في الاتحاد السوفييتي تحت رعاية وليام دوغلاس ، القاضي في المحكمة الاتحادية العليا ، اسفر عن احتجاج مؤلف من سبع نقاط وجه الى السلطات السوفييتية .

ثم اجتمع في واشنطن اكثر من خمسمئة مندوب يمثلون اكبر ٢٤ منظمة يهودية في الولايات المتحدة في اوائل نيسان (ابريل) من عام ١٩٦٤ للنظر في امر وضع اليهود في الاتحاد السوفييتي. وتكلم في هذا المؤتمر ارثر غولدبرغ، عضو المحكمة الاتحادية العليا آنذاك . واصدر المؤتمر قرارا بالاجماع استنكر فيه ما اسماه بالتضييق على يهود الاتحاد السوفييتي وعدم منحهم حقوقهم الدينية والثقافية ، كما اتخذ توصيات ترمي الى تعبئة الراي العام في الولايات المتحدة حول الموضوع .

وسرعان ما قامت الاتصالات مع الجهات الحكومية الاميركية ، وسيرت التظاهرات والمسيرات، وطيرت البرقيات، وصدرت الكتب العديدة حول وضع اليهود في الاتحاد السوفييتي، وعقدت الندوات ، واستغلت وسائل الاعلام من

تلفزيون وراديو وصالات عرض . ففي ٦ نيسان (ابريل) ١٩٦٤ قابل وفد من اليهود الاميركيين الرئيس الاميركي ليندون جونسون وعرضوا عليه المسألة ثم قابلوا في اليوم التالي وزير الخارجية السيد دين راسك ، الذي تجاوب معهم كليـا ، فأثار الموضوع في خطابـه الذي القاه امام اللجنـة اليهودية الاميركية بتاريخ ٣٠ نيسان (ابريل) .

وفي الثامن والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) عـام ١٩٦٥ اجتمع حوالي ٢٫٥٠٠ شخص في نيويورك ثم ساروا في تظاهـرة الى مركز وفـد الاتحاد السوفييتي لدى الامم المتحدة . وقد وجه الرئيس الاميركي الى هؤلاء برقية نصت فيما نصت عليه :

« ... ان وضع اليهود في الاتحاد السوفييتي يدعـو الى الاهتمام الشديد ... اننا لا نستطيع ان نتجاهل وجود الاضطهاد الديني او العنصري في اي مكان من العالم ... وينبغي ان تدعم الاجراءات الرسمية المتوافرة لدينا بضغط من الرأي العام العالمي واني لآمل ان يتجمع المواطنون والمنظمات على اختلاف مذاهبهم ليعبروا تعبيرا عارما عن اهتمامهم المعنوي بيهود الاتحاد السوفييتي (٢٥) » .

وكذلك وجـه رئيس الولايات المتحدة الاميركية رسالة اخرى الى زعماء المسيرة التي نظمت في واشنطن في شهـر ايلـول (سبتمبر) مـن سنة ١٩٦٥ استنكـارا للسياسة السوفييتية « المعادية » لليهود واحتجاجا عليها . وقد تليت هذه الرسالة على المتظاهرين الذين كلفوا وفدا منهم بتقـديم

---

٢٥ ـ الكتاب اليهودي الاميركي السنوي ـ ١٩٦٥ ، الجزء ٦٦ ، المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

عريضة للسفارة السوفييتية ، بيد ان المسؤولين في السفارة رفضوا استقبالهم .

ولم يتخلف الكونغرس الاميركي عن الاشتراك في هـذه الحملة ، فقد اصدر قرارا مؤرخا في الرابع والعشرين مـن ايلول (سبتمبر) عـام ١٩٦٤ ادان فيـه ما اسماه سياسة اضطهاد اليهود في الاتحاد السوفييتي .

وامتدت الحملة الى خارج الولايات المتحدة ، حتى ان موضوعهـا أثير في الاحـزاب الشيوعية في بعـض الدول الاوروبية . وقد عمد منظمو الحملة الى عقد مؤتمر كبير في باريس في تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٦٥ تحت رئاسة دانيال ماير ، وهو من الاشتراكيين ورئيس رابطة حقـوق الانسان .

ومن الواضح ان هذه الحملة المغرضة ترمي الى عـدة اهداف منها انتزاع تنازلات من الاتحاد السوفييتي فيما يتعلق بموقفه من الصهيونية العالمية ومن اسرائيل ، ومنها ايضـا اذكاء الروح الصهيونية بين يهود الاتحاد السوفييتي خوفا من انصهارهم في المجتمع السوفييتي ، فهؤلاء اليهود يشكلون مستودعا كبيرا تحاول الصهيونية العالمية ان تستفيد منه وان تستغله في خدمة اغراضها لا سيما مـن اجـل الهجرة الى فلسطين المحتلة خاصة وان معين هذه الهجرة قد نضب او كاد . ومن اهداف هذه الحملة ايضا ابقاء مسألة اضطهاد اليهـود مسألة حية في الضمير الانساني بغية استدرار العطف والشفقة ومن ثم الدعم والتأييد والمناصرة .

ولقد فضح ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية الى مؤتمر القارات الثلاث الذي انعقد في كوبه في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٦٦ اغراض هذه الحملة ونددوا بها .

★★★

درسنا في الفصول الثلاثة السابقة العوامل التي تؤثر في موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية ، وهي عامل عام يتعلق بالمبادىء العامة للسياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي ، وعاملان خاصان يؤثران في موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية ، هما موقف العقيدة الماركسية من الشيوعية وعدد اليهود وقوتهم ونفوذهم في الاتحاد السوفييتي . والآن سنوجه اهتمامنا في الفصل الرابع الى محصلة هذه العوامل جميعها التي تظهر في موقف الاتحاد السوفييتي الرسمي والمعلن من القضية الفلسطينية وهو حقوق عرب فلسطين المشروعة .

الفصل الرابع

حقوق عرب فلسطين المشروعة

نتيجة للعوامل المؤثرة في موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية والتي حللناها في الفصول الثلاثةالسابقة، يتبلور موقف الاتحاد السوفييتي فيما قد دأب منذ مدة على التصريح عنه ــ وهو حقوق عرب فلسطين المشروعة التي لا تتجزأ . وسنحاول فيما يلي استعراض الشواهد على هذا الموقف ومن ثم سنحاول تحليل معانيه ومراميه .

النبذة الاولى : مظاهر الموقف

يظهر موقف الاتحادالسوفييتي هذا من البيانات المشتركة الصادرة عن رسميين عرب وسوفييت سواء كانت هذه البيانات على مستوى رؤساء جمهوريات او مستوى مسؤولي الاحزاب او وفود العمال . وفيما يلي امثلة من هذه البيانات التي يظهر فيها ان التعبير المستعمل هو دوما تعبير متماثل .

أ ــ البيان المشترك الصادر في اول ايلول (سبتمبر) عام ١٩٦٥ بين الرئيس جمال عبد الناصر والزعماء السوفييت اثر الزيارة التي قام بها الرئيس العربي الى الاتحادالسوفييتي :

« وتدين حكومتا الاتحاد السوفييتي والجمهوريةالعربية المتحدة السياسة الاستعمارية في الشرق الاوسط ويعرب

الاتحاد السوفييتي عن تأييده التام لنضال الشعوب العربية ضد هذه السياسة **ويؤيد تأييدا كاملا الحقوق المشروعة التي لا تتجزأ لعرب فلسطين** .

« ويستنكر الطرفان ذلك الدور الذي تلعبه حكومة المانيه **الاتحادية بتزويد اسرائيل بالاسلحة لاستخدامها في الاغراض** العدوانية ضد الدول العربية ، **ويطالب الطرفان بتصفية القواعد** العسكرية الاجنبية التي تستخدم في تهديد الشعوب وحركات التحرر المناضلة ضد الاستعمار ، **ولما تشكله هذه القواعد من** تهديد للسلم **والامن الدولي (١) »** .

ب ــ خطاب رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي السيد الكسي كوسيغين في مجلس الامة في القاهرة بتاريخ ١٧ ايار (مايو) ١٩٦٦ :

« وتلعب بلادكم دورا هاما في نضال الشعوب العربية من اجل حل قضية فلسطين . اننا نفهم ما يوجهه العرب من الاهتمام الكبير الى هذه القضية ونعتقد بانه يجب تسويتها على اساس عادل .

« ولا يزال الاتحاد السوفييتي ، كما كان سابقا ، يعطف على النضال من اجل **اعادة حقوق اللاجئين الفلسطينيين المشروعة التي لا تنتزع** (٢) » .

ج ــ البيان العربي السوفييتي المشترك الصادر في اعقاب زيارة رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي للقاهرة :

---

١ ــ **الاهرام** ، ١٩٦٥/٩/٢ .
٢ ــ **الاهرام** ، ١٩٦٦/٥/١٨ .

« **ويؤيد الجانب السوفييتي تأييدا تاما الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي كاملة لا تتجزأ** كما يعضد كفاح الدول العربيه والجهود التي تبذلها ضد القوى الامبريالية ومؤامراتها العدوانية التي تحاول استغلال القضية لزيادة التوتر في الشرق الاوسط (٣) » .

د ــ البيان العراقي السوفييتي المشترك الصادر في اعقاب زيارة رئيس مجلس الوزراء العراقي والوفد المرافق له للاتحاد السوفييتي من ٢٣ تموز (يوليو) الى ٣ آب (اغسطس) ١٩٦٦ :

« استعرض الجانبان الموقف في الشرق الاوسط واستنكرا الدسائس الاستعمارية التي تحاك في المنطقة والتي تحاول القضاء على الحركات التحررية للشعوب العربية ...

« **ان الجانب السوفييتي يؤيد تأييدا كاملا حقوق عرب فلسطين المشروعة التي هي كل لا يتجزأ** ، وهو يؤيد نضال الدول العربية العادل والجهود التي تبذلها ضد الدسائس العدوانية الرامية الى استخدام قضية فلسطين لزيادة التوتر في الشرق الادنى .

« ويستنكر الاتحاد السوفييتي استفزازات اسرائيل ضد الدول العربية وخاصة ضد الجمهورية العربية السورية ، تلك الاستفزازات التي تكررت في الآونة الاخيرة والتي تشكل خطرا على قضية السلام (٤) » .

هـ ــ البيان المشترك بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفييتي الصادر في اوائل عام ١٩٦٧

---

٣ ــ **الاهرام** ، ١٩٦٦/٥/١٩ .
٤ ــ **المنار** (العراقية) ، ١٩٦٦/٨/٤ .

والذي وقعه اللواء صلاح جديد بصفته الامين العام المساعد في حزب البعث لشؤون القطر العربي السوري والسيد مازروف عضو المكتب السياسي للجنة المركزية في الاتحاد السوفييتي :

« ويشجب الحزبان قطعا دسائس الامبريالية والرجعية في الوطن العربي وسائر الاعمال الهدامة ضد الدول العربية التقدمية والسياسة العدوانية التي تتبعها الصهيونية . **ويعلن الحزبان تأييدهما الكامل لنضال عرب فلسطين من اجل حقوقهم المشروعة التي لا تتجزأ** (٥) » .

و ـ البيان المشترك الصادر عن عمال الجمهورية العربية السورية وعمال الاتحاد السوفييتي في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٥ :

جاء في هذا البيان ان الجانبين يؤيدان الحقوق المشروعة لعرب فلسطين (٦) .

ز ـ المؤتمر الصحافي الذي عقده بدمشق السيد غفوروف نائب رئيس اللجنة السوفييتية للتضامن الاسيوي الافريقي في تموز (يوليو) ١٩٦٦ .

اوردت وقائع هذا المؤتمر جريدة البعث السورية المؤرخة في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٦ كما يلي :

« سأل احد الزملاء : الا تعتقدون ان وجود اسرائيل في ارض فلسطين يعد احتلالا ؟

ـ « لقد سبق للحكومة السوفييتية ان شجبت العدوان الاسرائيلي ونحن نهتم اهتماما كبيرا باحداث المنطقة ومطامع

---

٥ ـ **الثورة السورية** ، ١٩٦٧/٢/١٢ .

٦ ـ **الدايلي ستار** ، ١٩٦٥/١٢/٢٠ .

الاستعمار التوسعية فيها . وبطبيعة الحال ان اسرائيل تلعب دور العميل للاستعمار في هذه المنطقة . ولا بد ان نكون يقظين لكل ما يحدث حولنا ... وقد صرحنا مرارا بموقفنا من هذه المشكلة وان **حقوق شعب فلسطين يجب ان تعاد اليه** » .

النبذة الثانية : معنى حقوق عرب فلسطين المشروعة

ما هو المقصود بحقوق عرب فلسطين المشروعة التي لا تتجزأ ؟ هل هو مشروع التقسيم كما اقرته هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ؟ ام هو التوطين والتعويض على النازحين عما خسروه من ممتلكات ؟ ام هو عودة الشعب الفلسطيني تحت ظل الحكم الاسرائيلي ؟ ام هو، اخيرا، تحرير الارض الفلسطينية من الاحتلال ؟

ان المقصود بهذا التعبير الموجز الذي دأب المسؤولون السوفييت على ترداده ليس واضحا بل هو تعبير مطاط ويكتنفه الغموض ويقبل العديد من التفسيرات والتأويلات . ولعل الاتحاد السوفييتي قد قصد ان يبقى هذا التعبير غامضا دون ايضاح ، لان مثل هذا الغموض يتيح للحكومة السوفييتية مجالا اوسع للحركة دون داع للاحراج .

فالدولة السوفييتية ، كجميع الدول تتأثر مواقفها بمصالحها ، وهي لذلك تحتاج ، اكثر مما تحتاج الاحزاب والحركات العقائدية الى مرونة في الشعارات السياسية تستطيع ان تتسع وتضيق وتؤول وتتكيف وفق المصالح التي قد تملي على الدولة مواقف متباينة بعض التباين .

ان الغموض في هذا التعبير الموجز ينم عن غموض في موقف الاتحاد السوفييتي بالنسبة الى الحل النهائي للقضية الفلسطينية . فالاتحاد السوفييتي يعترف بالكيان الاسرائيلي

اعترافا تاما غير منقوص مما يعني بالتالي انه يعترف بالسيادة الاسرائيلية على الاراضي المحتلة كما كانت قبل الخامس من حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ . ولكن بالرغم من هذا الاعتراف الصريح فان بعض المسؤولين في الاتحاد السوفييتي كثيرا ما يرددون ان السلطات الاسرائيلية قد احتلت بالقوة اراضي لا تعود لها بموجب مشروع التقسيم . مثال ذلك ما ورد على لسان رئيس وزراء الاتحاد السوفييني ، السيد الكسي كوسيغين ، في خطابه الذي القاه امام الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الاستثنائية بتاريخ ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

« وما هي السياسة التي تتبعها دولة اسرائيل ؟ بكل اسف انتهجت الاوساط الحاكمة في اسرائيل طوال فترة طويلة من تاريخ قيام هذه الدولة سياسة الالحاق والاغتصاب وتوسيع اراضيها على حساب اراضي الدول العربية المجاورة بطردها وحتى ابادتها السكان العرب .

« وهذا ما حدث خلال ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ عندما استولت اسرائيل بالقوة على جزء كبير من اراضي الدولة العربية التي تقرر قيامها بقرار من هيئة الامم المتحدة وطرد حوالي مليون شخص من ديارهم وجعلوا عرضة للجوع والآلام والبؤس . ان هؤلاء الناس الذين ظلوا طيلة تلك السنوات دون وطن ودون وسائل عيش يعانون حالة منفيين ولما تحل مسألة اللاجئين الفلسطينيين الحادة التي ولدتها سياسة اسرائيل حتى الان وهي تزيد دائما من حدة التوتر في المنطقة (٧) » .

---

٧ ــ خطاب أ.ن كوسيغين في الدورة الاستثنائية الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة (وكالة انباء نوفوستي، ١٩٦٧) ، ص ١٤ .

ومن ناحية اخرى يظهر هذا الموقف الغامض للاتحاد السوفييتي بالنسبة الى مسألة هجرة اليهود الى اسرائيل . فالاتحاد السوفييتي لا يسمح ، على وجه العموم ، بهجرة اليهود المقيمين فيه الى فلسطين المحتلة . بيد انه لم يعارض في هجرة اليهود المقيمين في بعض دول اوروبه الشرقية الشيوعية على نطاق واسع نسبيا الى اسرائيل . فالموقف من الهجرة اذن ليس موقفا مبدئيا تماما وهو قابل للتغيير .

خـاتـمـة

من الدولة ـ الاداة الى الوجود ـ الاستعمار

اوضحنا في الفصل السابق موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية وبيّنا انه غامض ومطاط ويقبل العديد من التأويلات والتفسيرات . وطالما ان الموقف هو كذلك، فعلينا نحن العرب ان نسعى لتوضيحه توضيحا يتفق واهدافنا في التحرير الشامل. وان هذا الامر يتطلب من المنظمات الفلسطينية ان تفتح حوارا مستمرا مع الاتحاد السوفييتي ، على صعيد المنظمات والهيئات الرسمية والحزبية والطلابية والعمالية والنسائية ولجان التضامن ، حول القضية الفلسطينية وطرق ووسائل حلها . وهذا الحوار لا بد وان ينطلق من المبادىء الماركسية ـ اللينينية التي يدين بها الاتحاد السوفييتي ، والتي تعادي الحركة الصهيونية كما رأينا عداء سافرا ، وبالتالي ، لا بد وان تكون معادية لطليعة هذه الحركة ومجسدتها وهي الدولة الاسرائيلية .

ولا بد لهذا الجهد الفلسطيني من مؤازرة ودعم على الصعيد العربي وذلك على المستويات الرسمية وشبه الرسمية وغير الرسمية . ولا بد من التنويه هنا بالدور الذي يمكن ان تلعبه الاحزاب الشيوعية العربية في هذا المضمار. ولا بد لهذه الاحزاب من ان تتحرر من عقدة النقص تجاه موسكو ولا بد لها من ان تجابه المسؤولين في الحزب الشيوعي السوفييتي مجابهة

الند للند ، وان تشترك في التخطيط والتوجيه بالنسبة الى قضايا بلادها الاساسية ، **لا سيما قضية فلسطين ، بدلا من** ان تكتفي بتلقي التعليمات والمواقف ، بحيث تصبح رسولة للشعب العربي لدى الحركة الشيوعية العالمية بدلا من ان تكتفي بان تكون رسولة للحركة الشيوعية في بلادها . ولا يجوز ان تعنى الاحزاب الشيوعية بمدى **تقدم الانتاج في الكولخوز** الفلاني او في المصنع الفلاني في الاتحاد السوفييتي اكثر من عنايتها بقضية بلادها الاولى .

فالمسؤولون الاسرائيليون أنفسهم، على خلافهم العقائدي والفكري مع موسكو ، وعلى تباين مواقفهم السياسية مع مواقف الاتحاد السوفييتي ، لا يألون جهدا في اظهار قضيتهم بما يأتلف والافكار التي ينادي بها الاتحاد السوفييتي . ففي المقدمة التي كتبها رئيس مجلس الوزراء الاسرائيلي للكتاب السنوي الاسرائيلي لعام ٦٧/١٦٩٦ عبر المذكور عن هذا الموضوع كما يلي :

« اما بالنسبة الى الاتحاد السوفييتي ، فمن الصحيح اننا قد منينا بخيبة امل ، ولكني لن اتوقف عن الامل بان علاقاتنا معه ستتحسن يوما من الايام . ومما يحزننا ان يبقى الاتحاد السوفييتي على عناده ، فلا يستطيع ان يفهم اهمية المنجزات الثورية والاجتماعية التي حققتها الصهيونية والتي قد عنت في نهاية المطاف بعث اسرائيل في ارضها كأمة عمل وخلق وابداع ، مجددة لغتها وثقافتها ، وتاركة الروابط الاجنبية منها بفعل قوتها ، ومشعلة طريقا للحرية من الاضطهاد لجميع شعوب الشرق (١) » .

---

١ — **الكتاب السنوي الاسرائيلي ٦٧/١٩٦٦** ، المرجع السابق، ص ٨ .

ان الجوار الذي اشرنا اليه والذي يجب ان يتم على الصعيدين الفلسطيني والعربي لا بد وان يهدف الى تبيان ان المقصود بحقوق عرب فلسطين التي لا تتجزأ لا يمكن ان يكون سوى التحرير. كما لا بد وان يهدف الى اجراء تحول في موقف الاتحاد السوفييتي . فبدلا من موقف المعارض لاسرائيل بسبب السياسة العدوانية التي تنتهجها اوساطها الحاكمة وبسبب كونها اداة وركيزة وجسرا ومخلب قط للاستعمار والامبريالية ورأس المال الاميركي في الشرق الاوسط وفي آسيه وافريقيه ، ينبغي لنا ان نسعى لتحقيق تحول في هذا الموقف السوفييني بحيث تنشأ معاداته لاسرائيل ليس للاسباب المذكورة وحسب ، بل لان الوجود الاسرائيلي بحد ذاته هو وجود احتلالي استعماري يشكل بنفسه صورة من ابشع صور الاستعمار واشدها وطأة . فهو لا يكتفي بالاحتلال واستغلال الموارد بل هو قائم على طرد السكان الاصليين واحلال جماعة من المستوطنين المهاجرين الغرباء محلهم .

ومما لا شك فيه ان العنصر الاساسي في تحقيق هذا التحول هو ، قبل الحوار النظري ، اشتداد ساعد حركة المقاومة الفلسطينية وازدياد قوة العرب وبأسهم . فنقطة الانطلاق والبدء هي قوة حركة المقاومة وارادة الحرب والاستعداد لها لدى العرب ككل ، ذلك ان مواقف الدول الخارجية لا تبنى على اساس النظريات فحسب ، بل هي تقوم بصورة رئيسية على اساس المصالح. والمصالح السوفييتية في المنطقة ترتبط، على وجه الاجمال ، ارتباطا طرديا بقوة العرب والاسرائيليين في المنطقة ، اي انه من المفترض ان تؤثر قوة العرب الاستراتيجية والاقتصادية سواء في الحاضر او المستقبل تأثيرا ايجابيا في موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية في حين تؤثر القوة الاسرائيلية تأثيرا سلبيا .

وقد آن لنا ان ندرك ان مصالح الدول ومواقفها تبنى على وقائع الامور اكثر من النظريات المجردة، ووقائع الامور تتقرر بالقوى الفعلية اكثر من اي شيء آخر .